

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

رقم:

ظاهرة إحراق الكتب في الغرب الإسلامي أبي حامد الغزالي

وابن رشد نموذجاً (ق6هـ/ق12م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

صابر قايدي

مقدمة أمام لجنة المناقشة		
الصفة	المؤسسة الجامعية	اسم ولقب الأستاذ (ة)
رئيساً	محمد بوضياف - المسيلة	عبد الغني حروز
مشرفاً	محمد بوضياف - المسيلة	عبد الرحمان نويقة
ممتحناً	محمد بوضياف - المسيلة	خير عامر

السنة الجامعية 1439-1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

{ن والقلم وما یسطرون}

شكر وعرّفان

{ واذا تأذن ربك لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد } إبراهيم
الآية 7.

أقدم بجزيل الشكر وخالص العرفان إلى من ساهم إسهاما كبيرا في إخراج
هذا العمل الأستاذ المشرف " عبد الرحمن نويقة " الذي كان خير معين
ومرشد، ولم يتوان بتقديم النصائح والتوجيهات.

كما أقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذتي الذين تعاقبوا على تعليمي.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين اللذان لم يبغلا علي بأي شيء إلى اللذين
قال الله فيهم تعالى { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ مِنْكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلَنَّ لَهُمَا أُنْثَىٰ وَلَا
تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا } الآية 23 الإسراء.

إلى رقيقة دربي زوجتي الغالية.

إلى أستاذي المشرف نويقة عبد الرحمان.

إلى كل أساتذتي الذين تعاقبوا على تدريسي في كل المراحل
التعليمية.

إلى زملائي .

إلى أصدقائي.

العلمة

يعتبر اكتشاف الكتابة من بين أهم وأبرز الإنجازات التي حققها الإنسان والتي مكنت له الإحتفاظ بالتراث الإنساني عبر التاريخ، ولما كانت الكتابة بهذه المكانة والقيمة فقد كان أول ما خلق الله عزّ وجل القلم، فعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: "إنّ أول ما خلق الله القلم، فقال له أكتب، فقال يا رب ما أكتب؟ قال: أكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"¹، ويؤكد قيمة الكتابة أن أقسم الله بالقلم حيث قال تعالى في سورة القلم "ن والقلم وما يسطرون"²، وأمام قيمة التدوين سعى الإنسان جاهدا لحفظ معارفه وتراثه الإنساني بواسطتها.

هذا وكثيرا ما كان أرباب الفكر عرضة لمصادرة أفكارهم التي دونوها على صفحات كتبهم من طرف السلطة الدينية أو السلطة السياسية وعلى مرّ الأزمنة والعصور فقد سجلت كتب التاريخ العديد من الأحداث التي طالت أصحاب الأفكار المخالفة لتوجه السلطتين واختلفت الأساليب لكن الهدف واحد، فتارة يحكم عليهم بالنفي وتارة بالقتل، وتارة أخرى بإحراق إنتاجهم الفكري، وكغيرها من الحضارات الإنسانية فقد شهدت الحضارة العربية الإسلامية العديد من المصادرات للإنتاج الفكري باختلاف مراحلها وظروفها، وبالحدّث عن الغرب الإسلامي كفاعل من فواعل الحضارة الإسلامية فهو الآخر شهد العديد من المصادرات التي طالت

¹ رواه الترمذي: سنن الترمذي، تح: بشار عواد معروف، باب القدر، حديث رقم 2155، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1998، ج4، ص27.

² سورة القلم، الآية: 1.

الإنتاج الفكري، ولعل أبرزها ما شهده القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي مع نهاية حكم المرابطين ومستهل حكم الموحدين، حيث أقدمت السلطتين الدينية والسياسية على إحراق كتب أبي حامد الغزالي وابن رشد الحفيد على التوالي، وتحتل هاتين الشخصيتين حيزا كبيرا في الدراسات المهمة بالتاريخ الإسلامي، وذلك لقيمتها الفكرية والدينية والسياسية، ومما تجدر الإشارة إليه أن المصادر التاريخية قد تناولت هذين الشخصيتين بنوع من الإسهاب، لكنها اختلفت في تفسير النكبة التي تعرضا إليها، ومن هنا تبرز أهمية الموضوع وقيمه التاريخية، حيث يعتبر موضوع ظاهرة إحراق الكتب مجالا خصبا للدراسة فكل ممنوع مرغوب، وهو ما دفعني للبحث في هذا المجال في محاولة مني لإمطة اللثام على ملابسات إحراق الكتب في الغرب الإسلامي وهو من المواضيع الجديرة بالدراسة.

ولقد كان أبي حامد الغزالي وابن رشد محل العديد من الدراسات لكنها كانت شحيحة في ما يخص مسألة ظاهرة إحراق الكتب.

وانطلاقا من الصيت الكبير الذي تتمتع به كتابات كل منهما، وكمحاولة مني لتقصي حيثيات الموضوع كان ولا بد أن نثير الإشكالية الآتية :

- ما هي الخلفيات التاريخية التي كانت وراء عملية الإحراق التي طالت إنتاج

كل من الغزالي وابن رشد الفكري؟

– إلى أي مدى ساهمت السلطة الدينية في عملية إحراق كتاب الغزالي وكتب

ابن رشد؟

- وما هي تبعات هذه النكبة؟

وهل كانت ظاهرة إحراق الكتب خاصية إسلامية أم أنها ظاهرة إنسانية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات وما يكتنف الموضوع من ملامسات وتماشيا مع

المادة العلمية المتاحة، وحرصا مني على إتباع خطوات منهجية ارتأيت تقسيم

الموضوع إلى ثلاثة فصول أخذت الرسم الآتي:

فصل تمهيدي تحت عنوان **إحراق الكتب عبر التاريخ**، تتبعت من خلاله

بعض نماذج إحراق الكتب في التراث الإنساني، حيث عرجنا على حوادث إحراق

الكتب عند غير المسلمين وذلك في التراث اليوناني والتراث المسيحي، ثم تناولنا

ظاهرة إحراق الكتب عند المسلمين.

أما الفصل الأول فعنوانه **بإحراق كتب أبي حامد الغزالي**، وتطرقنا فيه إلى

ترجمة شاملة لسيرة لأبي حامد الغزالي، ثم إحراق كتاب الإحياء ودراسة في الأسباب

التي أفضت إلى إحراقه، ثم عرضنا أبرز المواقف التي سجلت على الإمام الغزالي

وكتابه الإحياء، وختمت الفصل بتناول تداعيات عملية إحراق الإحياء على دولة

المرابطين.

في حين كان الفصل الثاني بعنوان **إحراق كتب ابن رشد الحفيد**، وتناولت من

خلاله ترجمة لإبن رشد ثم ذكرت الأسباب الحقيقية التي كانت وراء إحراق كتبه.

وذلك بالاعتماد على المنهج التاريخي مع توظيف آلية الوصف والتحليل والنقد

والمقارنة في محاولة مني لمعالجة الموضوع.

ولإنجاز أي عمل أكاديمي لابد من الإعتماد على مصادر نوعية شكلت

العمود الفقري للموضوع نذكر منها: كتب التاريخ العام كتب التاريخ الخاص كتب

التراجم والطبقات.

تعتبر كتب التاريخ العام من بين أبرز المصادر لإنجاز أي بحث وذلك لما

تحتويه من مادة تاريخية شاملة تغطي الكثير المحطات والأحداث التاريخية.

الطبري: يعتبر كتاب تاريخ الرسل والملوك موسوعة حقيقة للتاريخ الإسلامي

في قرونه الثلاثة الأولى في المشرق الإسلامي، وقد أفادني كثيرا في معرفة سياسة

خلفاء بني العباس إتجاه حركة الزندقة.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ لا يقل أهمية عن كتاب الطبري فهو أيضا يعد

موسوعة للتاريخ الإسلامي لكنه يقدم الإضافة في تاريخ الغرب الإسلامي مقارنة

بكتاب تاريخ الرسل والملوك، وقد أفادني الكامل في التاريخ في الفصل الأول

للتعرف على وجهة نظر جديدة ومحايدة تتعلق بحقيقة اللقاء الذي جمع ابن تومرت

بالإمام الغزالي من عدمه.

عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب لهذا الكتاب قيمة تاريخية كبيرة للمهتم بتاريخ الغرب الإسلامي خاصة في فترة حكم المرابطين والموحدين، ويرجع ذلك إلى سببين أساسيين: الأول يتعلق بكون عبد الواحد المراكشي توفرت لديه الكثير من المعطيات التي لم تتوفر لغيره، والثاني قربه الزمني لدولة المرابطين ومعايشته لآخر أيام دولة الموحدين، وقد أفادني كثير في الفصل الأول والثاني للوقوف على المناخ الفكري والثقافي والسياسي السائد في دولتي المرابطين والموحدين على التوالي وعلاقة ذلك بحادثة إحراق كتب الغزالي وابن رشد.

ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان يعتبر هذا الكتاب من بين أبرز الكتب التاريخية التي تناولت تاريخ دولة الموحدين، فابن القطان يعتبر من أبرز مؤرخي البلاط الموحي وعاش فرتها الأخيرة، لكن الجدير بالذكر أن ابن القطان سجل تاريخ الموحدين من زاوية نظر واحدة، وذلك يرجع لسببين: تدوينه للكتاب تحت تأثير البلاط الموحي، وتبنيه لعقيدة الأمراء الموحدين، هذا وقد وظفت الكتاب في الفصل الأول حيث يسر لي معرفة وتداعيات إحراق الإحياء على دولة المرابطين، بالإضافة إلى الوقوف على حقيقة اللقاء الذي جمع ابن تومرت بالغزالي.

لكتب التراجم قيمة تاريخية كبيرة وذلك نظرا للمادة الغزيرة التي يمكن استسقاء الواقع الثقافي والفكري والسياسي والإجتماعي الذي ميز الفترة الزمنية لكل علم، بالإضافة إلى أنها تطلعنا بحوثيات وتفصيل حياة المشاهير والأعلام.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان يعد هذا الكتاب من أبرز كتب التراجم الإسلامية والتي لا يمكن للباحث أن يستغني عنها، وقد أفادني كثيرا في إعداد هذا الموضوع، حيث استخدمته في الفصل التمهيدي للوقوف على محنة ابن حزم الأندلسي، وفي الفصل الثاني للتعرف على أطوار حياة أبي حامد الغزالي العلمية ومعرفة أهم آثاره العلمية.

سير أعلام النبلاء: يعتبر هذا الكتاب عصارة كتابات الذهبي وذلك لكم الهائل للشخصيات التي ترجم حواها الكتاب، وقد مكنتني من الوقوف على سير أهم الشخصيات الرئيسية للموضوع، كم أطلعني على المواقف الفقهية التي سجلت على الإمام الغزالي، بالإضافة إلى تناوله لحديثات نكبة ابن رشد.

ولا شك أن إنجاز أي موضوع لا يخلو من الصعوبات فإن أبرز الصعوبات التي واجهتني هو هاجس الوقت، بالإضافة إلى عملي تحت ضغط الثقة الكبيرة التي وضعها المشرف في شخصي.

الفصل الأول

أولاً : إحراق الكتب عند غير المسلمين

1 - إحراق الكتب في التراث اليوناني

تميزت الحضارة اليونانية بتعدد الآلهة وذلك انطلاقاً من عجز الإنسان على تقبل فكرة الموت فظهرت فكرة الأرواح المرفقة بهالة من الأساطير والخرافة¹، بحيث كان لكل عائلة يونانية إلهها خاصة بها في البيت، وهو الأمر نفسه عند كل قبيلة وكل مدينة، وتتميز الديانة اليونانية بتعقيدها كونها تتكون من مجموعة من العقائد المعقدة والمتداخلة فيما بينها، وقد عبد الإنسان اليوناني عدداً كبيراً من الآلهة والتي أعطيت صوراً بشرية فهي تحب وتكره وتحقد وتتزوج وتتصارع فيما بينها².

وأمام هذا التعدد الهائل للآلهة اليونانية وقف السفسطائيين موقفاً نقدياً من كل التراث الأسطوري الذي يتحدث عن عالم الآلهة³، ومثل هذا الموقف الشكّي والنقدي زعيم السفسطائية بروتاغوراس (485 - 411 ق.م) * وهو القائل في ذلك: " لا أستطيع أن اعلم إن كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة وعلى أي صورة تكون ، وذلك بسبب غموض

¹ حسن الشيخ: دراسات في تاريخ الحضارات القديمة اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية - مصر، 1992، ص114 - 115.

² علي عكاشة وآخرون: اليونان والرومان، ط1، دار الأمل، الأردن، 1991، ص110.

³ عصمت نصار : الفكر الديني عند اليونان، ط2، دار الهداية، مصر، 2005، ص137.

* بروتاغوراس (نحو 485 - 411 ق م) : سفسطائي يوناني كان صاحب مذهب حسي ونسبي، وعارض فكرة الحقيقة المطلقة بتعدد الآراء ووجهات النظر وصاحب القول المشهور " الإنسان مقياس كل شيء " وهو القول نقده أفلاطون =

معارفنا عنها وقصر حياتنا الإنسانية التي تحول بيننا وبين الوصول إلى حقيقة هذه المعارف"¹، وهو القول الذي تسبب في تأليب اليونانيين ضدّه متهمينه بالكفر والإلحاد وأتبعوا موقفهم هذا بإخراجه من أثينا وإحراق كتبه، ويعتقد أن حرق كتب بروتاغوراس هي أول حوادث حرق الكتب في تاريخ البشرية².

2 - إحراق الكتب في التراث المسيحي

يعتبر آرويس* من بين أبرز الشخصيات في التاريخ المسيحي وذلك بسبب خلافه مع الكنيسة حول الطبيعة البشرية للمسيح فهو من وجهة نظر مسيحية أرثوذكسية مهرطقا أو زنديقا شكل خطرا على العقيدة المسيحية³، وكانت مدرسة أنطاكية التي أسسها لوقيانوس قد عرفت بتوجهها النقدي هي الأساس الفكري والعقدي الذي بنى عليه

= في محاوره ثياتاتوس .كان متشائما، ولكنه لم يذهب في تشاؤمه إلى العدمية، وصاحب مبدأ النسبية في كل شيء.. ينظر جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة، بيروت - لبنان، 2006، ص170.

¹ عصمت نصار: المرجع السابق، ص138.

² خالد السعيد: تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات، ط1، دار أثر، الدمام - المملكة العربية السعودية، 2018، ص158 - 159.

* ولد آريوس في ليبيا حوالي سنة مائتين وستة وخمسين لميلاد في الإسكندرية، وتعلم آريوس في أنطاكية في مدرسة لاهوتية أسسها أحد العلماء المسيحيين ويدعى لوسيان، ثم استقر في الإسكندرية، وجمع آريوس بين إتجاهين مختلفين لمدرستي أنطاكية والإسكندرية. ينظر: ميشال أبرص، أنطوان عرب: المجمع المسكوني الأول نيقيا الأول 325، ط1، المكتبة البوليسية، بيروت - لبنان، 1997، ص 121؛ إبراهيم يعقوب الميخاري: تاريخ الكنيسة القبطية، ط1، القاهرة - مصر، 2016، ج1، ص 113 - 114.

³ نهاد خياطة: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، دم، دس، ص81 - 82.

أريوس آرائه حول إقرار الطبيعة البشرية للمسيح، الأمر الذي جعل الكنيسة تعقد مجمعا كنسيا* سنة ثلاثمائة وتسعة عشرة خلص إلى نفي أريوس، وتم تأكيد هذا القرار بعقد مجمع آخر أوسع نطاقا ضم أساقفة ليبيا ومصر وذلك سنة ثلاثمائة وإحدى وعشرون والذي أدان من جديد أفكار أريوس¹.

وفي سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين عُقد مجمع نيقية الكنسي الذي أقر طبيعة ألوهية المسيح وفرض هذه العقيدة على المسيحيين وذلك بتأييد من قسطنطين²، وانتهى بإصدار قرارا يكفر فيه أريوس ويأمر بطرده وإحراق جميع الكتب التي لا تقر بالطبيعة البشرية للمسيح، بالإضافة إلى حرق كتب الآريوسية وتحريم قرائتها³، وحرمان أتباعه من الآريوسيين من حق المواطنة وذلك سنة ثلاثمائة وست وعشرين⁴، وإدانة من يقوم بإخفائها

* المجمع الكنسي: هو مؤتمر يعقده الأساقفة لتداول وتدارس أوضاع الكنيسة، وهو مسكوني إذا دعي إليه أساقفة العالم كله وذلك برئاسة البابا، وهو وطني، أو إقليمي، أو وطني إذا ضم حيز جغرافي معين أو طائفة معينة. ناوات محمد أمين: "مجمع نيقية الكنسي"، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد 5، السنة الخامسة، العراق، 2010، العدد الأول، ص 43.

¹ رأفت عبد الحميد: "إغتيال أريوس"، مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة، مصر، أغسطس 1996، العدد التاسع عشر، ص 54 .

² أحمد عبد الوهاب: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، ط1، دار التضامن، مصر، 1980، ص 20.

³ رأفت عبد الحميد: الفكر المصري في العصر المسيحي، دار قباء، د م، د س، ص 182؛ خالد السعيد: المرجع السابق، ص 170.

⁴ فاضل سليمان: أقباط مسلمون قبل محمد، شركة النور للإنتاج الإعلامي، الجيزة - مصر، 2010، ص 71.

والحكم عليه بالموت وعلى رأس هذه الكتب كتاب الثاليا لأريوس¹، وهو ما يعكس تخوف رجال الكنيسة من آراء أريوس ومحاربتهم لها بشتى الطرق والوسائل نظرا للخطر الذي تشكله على سلطتهم.

ثانيا : إحراق الكتب في التراث الإسلامي قبل القرن السادس الثاني عشر

للميلاد

1- إحراق كتب الزنادقة والفلاسفة في المشرق الإسلامي

يرجع تاريخ ظهور الزندقة* في المجتمع العربي الإسلامي إلى العصر الأموي² لكنها كانت قليلة جدا وذلك بسبب تصدي الدولة الأموية لكل أصحاب الفرق والملل المخالفة للشريعة الإسلامية ، ولأصحاب النزعات القومية والأعجمية، حيث كان يقتصر استخدام لفظة زنديق على بعض الأفراد فقط³، ويسقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية على أنقاضها تحولت إلى حركات منظمة ازداد نشاطها حدّة، وذلك بسبب تنوع

¹ عبد الباقي السيد عبد الهادي، الأريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، 2016، ص 30 - 31.

* الزندقة صفة فارسية معناها متبع الزند أي الشروح القديمة للأفستا ، وهو كتاب زرادشت المفضل له عن النص المقدس، وقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتيب المقدسة للديانات الأخرى وشرحها بحسب آرائهم وأهوائهم تشبه التأويل عند الإسماعيلية ينظر عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، ط1 ، دار الطليعة، بيروت - لبنان، 1945، ص 87.

² محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس، بيروت - لبنان ، 2009، ص 76.

³ حسين عطوان: الزندقة والشعبوية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت - لبنان ، 1984، ص 17.

التركيبية البشرية للمجتمع العباسي والثراء الفكري والعلمي بفعل حركة الترجمة والتأليف¹، حيث شهد العصر العباسي الأول العديد من الحركات الدينية التي استمدت معتقداتها من أفكار فلسفية فارسية قديمة وذلك بداية بعهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)².

أدرك الخلفاء العباسيون أن حركة الزندقة أصبحت تشكل خطراً على كيان الخلافة الإسلامية وذلك لما تحملها من معتقدات هدامة وانحرافات دينية وعقدية وسياسية³، فحاولت السلطة العباسية تتبع أصحابها لاستئصال شأفتهم⁴، وشهد عهد المهدي (158-169هـ/774-785م)* اشتداد محاربتهم لهم حيث عرف عنه بأنه كان شديداً على أهل الإلحاد والزندقة ولا تأخذه في إهلاكهم لومة لائم⁵ أنشأ ديواناً خاصاً بالزندقة

¹ حسين عطوان، المرجع السابق، ص 18 .

² علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام الجاهلية . الدولة العربية . الدولة العباسية، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر ، ص 343-345.

³ حسين عطوان: المرجع نفسه، ص 25 ؛ أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسي، ط4، منشورات جامعة دمشق - سوريا ، 1997 ، ص 158 .

⁴ عبد الكريم هلثاني: "الزندقة في العصر العباسي الأول"، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، 2015-2016، ص 19 وما بعدها .

* المهدي: الخليفة، أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي، العباسي. مولده بإبذج من أرض فارس، في سنة سبع وعشرين وقيل في سنة ست، أمه أم موسى الحميرية، ملك عشر سنين وشهراً ونصف، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، ومات بماسبذان، في المحرم، سنة تسع وستين ومائة. ينظر: الذهبي شمس الدين: سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرنؤوط ، علي أبو زيد، ط11، مؤسسة الرسالة، 1996، ج7، ص 400 - 403 .

⁵ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، تح: عبد القادر مايو، ط1، دار القلم، بيروت - لبنان، 1997، ص179.

وعين عليه موظفا خاصا يعرف بصاحب الزنادقة مهمته البحث عنهم وقتلهم¹، قصابا عليهم جادا في طلبهم²، مغرى بهم³، بالإضافة إلى محاربتهم فكريا وذلك من خلال تصنيف كتب الردود عليهم لفضحهم وإبطال معتقداتهم فالمهدي يعتبر أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين⁴، وفي سنة ثلاث وستين ومائة وهو في أحد غزواته بنواحي حلب قام المهدي بإرسال عبد الجبار المحتسب لتتبع وجلب من بتلك الناحية من الزنادقة، فامتثل الأخير لأمر المهدي ووافقهم به وهو بدابق، فقتل جماعة منهم وصلبهم، وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بالسكاكين⁵، وفي سنة سبع وستين ومائة جمع المهدي خلقا كبيرا من الزنادقة من مختلف الأمصار وقام بقتلهم⁶، ويظهر حرص المهدي على محاربة الزنادقة من خلال الوصية التي أوصى بها ولي عهده الهادي(169-170هـ/785-786م) والتي حثه فيها على تتبع الزنادقة أينما وجدوا إذ

¹ ابراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العلمية للكتاب، بيروت - لبنان، 1989، ص53.

² الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج7، ص401.

³ محمد الخضري بك: الدولة العباسية، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، 2003، ص88.

⁴ المقرئزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، 1997، ج1، ص117.

⁵ ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة - مصر، 1967، ج8، ص148؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتاب العلمية - بيروت لبنان، 1985، ج1، ص184.

⁶ المصدر نفسه، ج8، ص165.

يقول له فيها: "يا بني إن صار لك هذا الأمر فتجرد لهذه العصابة- يعني أصحاب ماني- فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا والعمل للأخرة... فارفع فيها الخشب، وجردها فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس في المنام قلدني بسيفين، وأمرني بقتل أصحاب الاثنين قال: فقال موسى بعد أن مضت من أيامه عشرة أشهر: أما والله لئن عشت لأقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا أترك منها عينا تطرف"¹، وهو قول يبين مدى حقد المهدي وابنه الهادي من بعده على الزنادقة وذلك لما تحمله هذه الحركة من أفكار ومعتقدات تتنافى مع الفطرة السليمة للإنسان والعقيدة الإسلامية.

استمر محاربة خلفاء بني العباس للزنادقة ومصادرة كتبهم وإحراقها وتتبعهم لهم في العصر العباسي الثاني، حيث شهدت سنة ثلاثمائة وإحدى عشرة إحراق الخليفة العباسي المقتدر (295-320هـ/908-932م) حوالي مائتي كتاب من كتب الزنادقة ومنها ما كتبه الحلاج²، وهو رقم يعكس حجم الثراء الفكري الذي هو إمتداد للعصر العباسي الأول

¹ الطبري: المصدر السابق، ج8، ص220 .

² ابن كثير: البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد الله التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1998، ج15، ص6.

خاصة في عهد المأمون وذلك يعود إلى سياسته العلمية من خلال تشجيعه للعلم وأهله بالإضافة إلى حركة الترجمة الكبيرة التي يعتبر عصر المأمون عصرها الذهبي¹.

2- إحراق الكتب في الأندلس

شهدت الحركة العلمية في الأندلس حركة علمية منقطعة النظير وذلك بداية من عصر الخلافة (422-316هـ/1031-929م) والذي يعد اللبنة الأولى للتطور العلمي والحضاري الذي ستعرفه الأندلس في عهد ملوك الطوائف (422-897هـ/1031-1492م)، ويرجع ذلك إلى السياسة الإيجابية التي تبناها الخلفاء الأمويين في الأندلس²، وتجلى هذا الاهتمام من طرف السلطة الحاكمة بالحياة لعلمية والثقافية في إنشائهم للمراكز التعليمية والمتمثلة في المساجد والمدارس والمكتبات مما كان له الأثر البالغ في الدفع بالحركة العلمية في البلاد، بالإضافة إلى المكانة المرموقة التي حظي بها العلماء عند الخلفاء الأمويين وذلك بتقريبهم وتشجيعهم والإغداق عليهم³.

¹ نصر الدين سليمان: "حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسيين الأول (132 - 232هـ)", مجلة جامعة شندي، السودان، يناير، 2004، العدد الأول، ص 87 - 88.

² سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316-422هـ/898-1030م): رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1981/1982. ص 66.

³ حامد الشافعي دياب: الكتب والمكتبات في الأندلس، ط1، دار قباء، القاهرة - مصر، 1998، ص 30.

هذا وقد استهل عبد الرحمان الثالث (300-350هـ/912-961م) في الأندلس بإصلاحات ثقافية واسعة وشاملة ساعدت على نهضة فكرية في مختلف فنون المعرفة، وكان لتأثير الآباء على الأبناء وحثهم على التعليم والتزود بمناهل الثقافة الدور البارز على الأمراء عند تقلدهم السلطة¹.

ولم يكن الاهتمام بجمع الكتب واقتنائها حكرا على الأمراء والخلفاء فقط، وإنما شمل ذلك مختلف شرائح المجتمع الأندلسي والذي عرف بشغفه الكبير بالعلم والحرص على اقتناء الكتب وجمعها في المكتبات الخاصة في المنازل².

لكن ورغم كل هذا المناخ الفكري والثقافي المزدهر الذي شهدته الأندلس إلا أنه يوجد جانب مظلم في هذا المجال يتمثل في ظاهرة إحراق الكتب وإتلافها ومصادرتها والتضييق على أصحاب الأفكار المخالفة للتوجه العام للسلطة والفقهاء والعامّة.

¹ محمد بشير حسن راضي العامري: تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2014، ص111.

² حامد الشافعي: المرجع السابق، ص95.

أ - إحراق المنصور بن أبي عامر (ت393هـ/1002م)* لكتب الفلاسفة

لم تلقى الحركة الفلسفية رواجاً كبيراً في الأندلس مقارنة بنظيراتها من العلوم الأخرى ومع ذلك فلا ينفي وجود فلاسفة أندلسيين متميزين أمثال ابن باجة، ابن الطفيل، ابن رشد وغيرهم، ويعود سبب عدم الرواج للفلسفة هو نظرة الأندلسيين السلبية اتجاه علوم الأوائل و المشتغلين بها وحسبنا دليلاً في ذلك ما ذكره المقري حول ذلك حيث يقول: "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم، ولا يتظاهر بهما خوف من العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة اسم زنديق، وقيدت عليه أنفاسه، فإن زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت"¹، وهو ما قام به الحاجب المنصور الذي لم يشذ عن هذه القاعدة حيث قام بإحراق كتب الفلسفة وذلك إرضاء وتقرباً

* محمد بن أبي عامر أبو عامر: أمير الأندلس في دولة هشام المؤيد، يقال أصله من الجزيرة الخضراء، وورد شاباً إلى قرطبة فطلب العلم والأدب وسمع الحديث وتميز في ذلك، ترقى في عديد المراتب في البلاط الأموي في الأندلس وذلك بمساعدة صبح أم هشام المؤيد، وبوفاة الحكم المستنصر أصبح صاحب السلطة الفعلي وذلك لصغر سن هشام المؤيد، تلقب بالمنصور، عرف بحبه للغزو حيث بلغت غزواته قرابة الستين غزوة، وتوفي في أحد غزواته = وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. ينظر الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989، ص152-153.

¹ المقري: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، 1988، ج1، ص221.

منه لطبقة للعامّة¹، وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم الذي عرف عنه اهتمامه بعلوم الأوائل²، وكان ذلك في حضرة خاصته من العلماء³.

ب - إحراق كتب ابن حزم 456هـ/1063م)*

يعتبر بن حزم من بين أبرز رجال العلم في الأندلس لكن ورغم هذه الشهرة والمكانة العلمية إلا أنه تعرض لمحنة كبيرة تعددت أسبابها، حيث تخللها النفي والسجن وإحراق بعض كتبه وبعضها مزق علانية باشبيلية حيث أرجع ابن بسام ذلك إلى جهله بسياسة العلم على حد قوله⁴، وطعن الفقهاء فيه لدى الحكام⁵، حيث أجمع الفقهاء على بغضه وتضليله، وردّ أقواله، وحذروا السلاطين من فتنته، ونهوا العامة من التقرب منه أو

¹ المقرئ: نفح الطيب، ج1، ص121.

² صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تح: العيد بوعلوان، د م، 1983، ص222-224.

³ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2003، ج8، ص731.

* علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأندلسي الإمام العلامة، يكنى أبا محمد، ولد بقرطبة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وكان شديد الذكاء والحفظ جامعاً للعلوم، عاملاً بعلمه، وكان شافعي المذهب، ثم انتقل إلى القبول بالظاهر، وكان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، توفي ابن حزم يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة. ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1993، ج1، ص 1650. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت. لبنان، 1997، ج3، ص 325؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ج10، ص 75.

⁴ ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1989، ص 169.

⁵ المقرئ: نفح الطيب، ج2، ص82.

الإستماع إليه¹، وجاء هذا الموقف من الفقهاء كرد فعل منهم للهجوم الذي شنّه ابن حزم عليهم حتى قيل: " لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان"².

وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن حزم قد عاش في مناخ سياسي غلب عليه الصراعات والفتن³، وفي الوقت نفسه فقد عُرف عن أسرته تصدرها للمشهد السياسي في الأندلس وهو ما يجعلها عرضة للفتن وتقلب سياسات الأمراء والسلاطين، حيث كان أبوه عمر من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر القائم على دولة المؤيد بالله، ثم وُزر للمظفر ابن المنصور⁴، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستنظر بالله بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر⁵، ومع قيام دولة بني حمود وسيطرتهم على قرطبة أرسل علي بن حمود الحسن بن الناصر في تعقب المناوئين له، وقام والي المرية خيران باعتقال ابن حزم لعدة أشهر بتهمة الدعوة للأمويين⁶، وهي التهمة ذاتها التي وجهها المعتمد ابن

¹ ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص168.

² الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص78.

³ محمد أبو زهرة: ابن حزم حياته و عصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، 1997، ص37 وما بعدها.

⁴ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص76.

⁵ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص1651.

⁶ ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، تح: إحسان عباس، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، 1989، ص262.

عبّاد صاحب إشبيلية لابن حزم ما جعله يقدم على حرق كتبه في حضرة خصومه من الفقهاء الذين نجحوا في تحقيق دسائسهم ضد ابن حزم¹.

وقد خلّفت عملية إحراق كتب ابن حزم أثرا بالغا في نفسه وأنشد في ذلك² :
دعوني من إحراق رقّ وكاغِدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الناس من يدرى
فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمّنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلّت ركائبِي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
وإلا فعودوا في المكاتب بدأةً ... فكم دون ما تبغون لله من ستر
كذاك النصارى يحرقون إذا علت ... أكفهم القرآن في مدن الثغر
وكانت أواخر حياة ابن حزم مأساوية جراء هذه المحنة حيث توفي مشردا عن بلده
لناحية لبلة³.

¹ خالد السعيد: المرجع السابق، ص 48.

² ابن بسام: المصدر السابق، ج1، ص171؛ المقري: نفح الطيب، ج2، ص82؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص81.

³ الذهبي: العبر في خبر من غير، ج2، ص306.

الفصل الأول

تمهيد

يعتبر قيام دولة المرابطين (448هـ/1056م) حدثاً بارزاً في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وفي تاريخ الغرب الإسلامي بصفة خاصة، حيث خلف قيام دولة المرابطين صدى كبير ساهم بشكل واضح في تغيير مجريات الأحداث والوقائع في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، الحادي عشر ميلادي، خاصة في ضل الضعف والتشرذم الذي شهده العالم الإسلامي، وعلى النقيض تماماً قوة واتحاد في العالم الغربي المسيحي، هذا ويقف المقلب في صفحات التاريخ المرابطي على أن هذه الدولة قد قامت على أساس دعوة دينية ذات طابع علمي غلب عليها الجانب النقلي، وحسبنا دليلاً ما ذكره صاحب المعجب فيما يرويه عن الحركة العلمية النشطة التي شهدتها الدولة خصوصاً في عهد يوسف بن تاشفين وخليفته علي مشبهاً هذا الزخم العلمي بتلك التي عرفها أمراء بني العباس في المشرق في عصرها الذهبي¹، وكذلك الأمر لعلي بن يوسف الذي حرص على جمع النساخ والكتاب فاجتمع له ما لم يجتمع لغيره من السلاطين²، لكن ورغم هذه الحركة العلمية الكبيرة التي شهدتها دولة المرابطين إلا أنه عرف أحد أكثر الأحداث إثارة للجدل بين الباحثين والمتمثلة في إحراق كتب الغزالي وخاصة كتاب الإحياء.

¹ المراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2005، ص115.

² الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج11، ص673.

أولاً : ترجمة الإمام الغزالي (ت505هـ/1111م)

1- مولده ونشأته

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، والغزالي بفتح الغين المُعجمة وتشديد الزاي المعجمة وبعد الألف لام، هذه النسبة إلى الغزّال، على عادة أهل خوارزم وجرجان فإنهم ينسبون إلى القصار القصاري، وإلى العطار العطار¹، وقيل أنه قال في بعض مصنفاته ونسبي إلى قرية يقال لها غزالة بتخفيف الزاي²، ولد بطوس* سنة خمسين وأربعمئة، توفي في الرابع عشر من جمادى الآخر سنة خمسمئة وخمسة بالطّابران وله خمس وخمسون سنة³، حيث ذكر أخوه أحمد أنه لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضع أخو حامد وصلّى وقال: **علي بالكفن فأخذه وقبله وتركه على عينه وقال سمعا وطاعة على الملك، ثمّ مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الإسفار**⁴.

¹ ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص 98.

² صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، ط، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، 2000، ج1، ص 211 - 213؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1996، ج2، ص20.

* طوس: مدينة بها قوم من من العرب وأكثر أهلها عجم، وتبعد عن خط المغرب ثلاث وثمانون درجة و عن خط الإستواء تسع وثلاثون درجة، وخراجها يدخل في خراج نيسابور. ينظر إسحاق بن الحسين المنجم: أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1987، ص73؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت - لبنان، 1977، ج4، ص 49 - 50.

³ الذهبي: العير في خبر من غير، ج2، ص387.

⁴ ابن الجوزي: الثبات عند الممات، تح: عبد الله الليثي الأنصاري، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، 1406، ص 178 - 179.

2 - حياته الفكرية

بدأ أبي حامد الغزالي مساره العلمي في أحد المدارس بطوس حيث تفقه على أحمد الراذكاني¹، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ولما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال له: علمهما وتنفق ما أخلفته عليهما، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما بالنفقة اليسيرة التي تركها لهما أبوهما ن فلما نفذت تعذر الصوفي على القيام بقوتها فقال لهما: اعلمنا أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما إلا أن تلجأ إلى مدرسة كأنكما من طلبه العلم فيحصل اكم فقوت يعينكما على وقتكما ، ففعلا ذلك . وكان الغزالي يحكي هذا ويقول : طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله².

رحل الغزالي إلى إمام الحرمين أبو المعالي ولزمه وحظي عنده بمكانة خاصة، وأخذ عنه العلم في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه، وأوحد أقرانه، وبدأ في التصنيف³، وكان إمام الحرمين يفتخر به ويتبجح، ويقال أنه كان مع ذلك يتحسّر من تصانيف الغزالي وأنه

¹ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص62.

² تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناجي، عبدالفتاح محمد الطلو، دار إحياء الكتب العربية، دم، دس، ج6، ص 191 - 194 .

³ الذهبي: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

لما صنف كتاب المنحول وعرضه على الإمام فقال : دفنتني وأنا حي فهلاً صبرت حتى أموت لأن كتابك غطّى على كتابي¹.

وفي جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربع مائة قدم أبو حامد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد للتدريس بالنظامية وهو بحر زاخر بالعلم²، ولقبه نظام الملك بزين الدين شرف الأئمة³، وأعجب به الوزير نظام الملك فأكرمه وعظّمه وبالغ في الإقبال عليه ، وكان بحضرة الوزير جماعة من الفاضل فجرى بينهم الجدل و المناظرة في عدة مجالس فظهر عليهم وأشتهر اسمه وأعجب به أهل العراق وارتفعت عندهم منزلته، وفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وترك التدريس بالمدرسة النظامية لأخيه أحمد وتزهد وقصد الشام والقدس⁴، وتوجه إلى الشام وزار القدس وهي الرحلة التي صنف فيها "إحياء علوم الدين"⁵ وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه⁶، وقصد الحج فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب

¹ ابن كثير: طبقات الشافعيين، تح: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم، محمد عزب، ط1، دار الوفاء، المنصورة - مصر، 2004، ص 533 - 535 .

² ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، 2001، ص204.

³ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، 1992، ج16 ص 292.

⁴ ابن الوردي: المصدر السابق ، ص9.

⁵ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، 1997، ج8، ص507.

⁶ ابن كثير: البداية والنهاية، ج16، ص147.

الغربي منه¹، وانتقل منها إلى بيت المقدس، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة، ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، ويقال إنه قصد منها الركوب في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع مع الأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراكش، فبينما هو كذلك بلغه نعي يوسف بن تاشفين²، وعاد في السنة الثالثة من خروجه، ثم حج سنة تسعين³، ثم ألزم بالعودة إلى نيسابور والتدريس بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والجلوس إلى حلق الدرس⁴.

3 - آثاره العلمية

للغزالي العديد من المؤلفات منها : " إحياء علوم الدين " وهو من أنفس الكتب وأجملها، و "معيار العلم " المقاصد"، و"المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسن"، و"مشكاة الأنوار"، و"المنقذ من الضلال"، و" المضمون به على غير أهله"، و"الاقتصاد في الاعتقاد"، و"المنحول والمنتحل في علم الجدل"، و"الوسيط"، و"البسيط"، و"الوجيز"⁵،

¹ ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص217.

² المصدر نفسه، نفس الصفحة.

³ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: مجموعة محققين، ط1، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، 2013، ج19، ص466.

⁴ ابن خلكان: المصدر نفسه، ص218؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، 1986، ج6، ص18 . 22.

⁵ ابن خلكان: المصدر نفسه، ج4، ص217-218.

و"الأربعين"، و"القسطاس"، و"محك النظر"¹ الخلاصة في الفقه ، و" الفرق بين الصالح وغير الصالح " محك النظر " و " مقاصد الفلاسفة " ، و"البسيط " في الفقه، و"المعارف العقلية "، و"بداية الهداية"، و"فضائح الباطنية " ويعرف بالمستظهري، وفضائح المعتزلة ألفه بأمر من الخليفة العباسي المستظهر²، و"التبر المسبوك في نصيحة الملوك" كتبه بالفارسية وترجم إلى العربية، و"منهاج العابدين" قيل: هو آخر تأليفه، و"إجام العوام عن علم الكلام"، و"شفاء العليل" في أصول الفقه، و"المستصفي من علم الأصول"، و"فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، و"ميزان العمل"³.

وقسم مجموعة من الباحثين المحدثين تأليفه لهذه الكتب إلى خمسة مراحل⁴:

المرحلة الأولى: 465هـ - 478هـ

المرحلة الثانية: 478هـ - 488هـ

المرحلة الثالثة: 488هـ - 499هـ

المرحلة الرابعة: 499هـ - 503هـ

المرحلة الخامسة: 503هـ - 505هـ

¹ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص63.

² ابن حماد الصنهاجي: أخبار بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة - مصر، د س، ص37.

³ خير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ط15، بيروت. لبنان، 2006، ص22.

⁴ علي محمد محمد الصلابي: دولة السلاجقة و بروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط1، مؤسسة إقرأ، القاهرة - مصر، 2006، ص362-363؛ ينظر عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، ط2، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص10 - 17.

ثانيا : حادثة إحراق كتاب " الإحياء " وأسبابها الحقيقية

1- الإطار التاريخي لعملية إحراق الإحياء(503 - 537هـ/1109 - 1142م)

قامت دولة المرابطين على سواعد الفقهاء أي على أساس دعوة دينية كما عبر عن ذلك ابن خلدون¹، وقد كان لهذه الطبقة مكانة ونفوذ في منظومة الحكم لدى دولة المرابطين ورسمها للتوجه السياسي والفكري للدولة²، هذا وقد تعاضم هذا النفوذ إبان حكم علي بن يوسف بن تاشفين حيث اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يتخذ أي قرار دون الرجوع إلى الفقهاء، فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس³، فكثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم، وفي ذلك يقول أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البني :

أهل الرياء لبستمو ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم
فملكتمو الدنيا بمذهب مالك وقضتمو الأموال بابن القاسم
وركبتمو شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم⁴

وتصدر علماء الفروع على مذهب الإمام مالك المشهد العلمي عند الأمير المرابطي

علي بن يوسف بن تاشفين بالإضافة إلى نشاطهم السياسي ليتحول هذا النفوذ إلى ما

¹ عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، ط1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة . مصر ، 2010 ، ص 130 .

² عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت، ط2، المعهد العالمي للفكر، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1995، ص47.

³ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 121 .

⁴ نفسه، نفس الصفحة.

يشبه الدكتوراة الدينية¹، فاستفحل الاهتمام بالفروع حتى نُسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صل الله عليه وسلم، ولم يقتصر الاعتناء بالفروع فقط بل تطور ذلك إلى تكفير من يخوض في علم الكلام وحجتهم بأنه بدعة في الدين قد يؤدي إلى زيغ العقيدة، واستطاع الفقهاء إقناع علي بن يوسف بهذا الموقف من علم الكلام وأهله وكتب إلى الأمصار بالتشديد والوعيد على الخوض فيه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، ولما دخلت كتب أبي حامد الغزالي أمر أمير المسلمين بإحراقها²، حيث أنكر الفقهاء فحواه ولا سيما ابن حمد بن حمدي والذي بالغ في ذلك حتى كفر من قرأه وعمل به وهو الذي اقنع علي بن يوسف بن تاشفين على حرقه³ وكان ذلك سنة ثلاث وخمسمائة حسب ما ذكره ابن القطان في قوله: " في أول عام ثلاث وخمسمائة عزم علي بن يوسف بن تاشفين عن إجماع قاضي قرطبة أبي عبد الله محمد بن حمدي * وفقهائها على إحراق كتاب أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى المسمى ب الإحياء ، فأحرق في رحبة مسجدها على الباب الغربي على هيئته بجلوده بعد إشباعه زيتا، وحضر لذلك جماعة من أعيان

¹ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1990، ج3، 411.

² عب الواحد المراكشي: المصدر السابق: ص 122 .

³ مجهول: الحلل الموشية في نكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - المغرب، 1979، ص104.

* العلامة قاضي الجماعة، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدي الأندلسي، المالكي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف. ولي القضاء ليوسف بن تاشفين ، زحمت سيرته، روى عنه القاضي عياض وقال: توفي سنة ثمان وخمس مائة، ولي قضاء قرطبة، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البر، وأبي العباس بن دلهات، وتفقه بأبيه، وبمحمد بن عتاب، وحاتم بن محمد، وكان ذكيا، بارعا في العلم، متفنا أصوليا، لغويا، شاعرا، حميد الأحكام مات في المحرم، لثلاث بقين منه، عن تسع وستين سنة. وكان يحط على الإمام أبي حامد في طريقة التصوف، وألف في الرد عليه. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص422.

الناس ونفذت كتبه إلى جميع بلاده أما بإحراقه حيثما وجد وأخذت منه نسخا أيدي أصحابها ... وتوالى الإحراق على ما إستشرى منه بلاد المغرب بقية ذلك العام¹، ومن أبرز الفقهاء الذين أفتوا بحرق الإحياء إلى جانب قاضي قرطبة ابن حمدين القاضي عياض والذي عرف بتعصبه لمذهب الإمام مالك وحرصه على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صل الله عليه وسلم².

تواصلت عملية الإحراق والمصادرات لكتب البدع وعلم الكلام ومنها كتاب الإحياء للإمام الغزالي حتى بعد وفاة علي بن يوسف، حيث صدرت وثيقة عن ديوان الإنشاء المرابطي على عهد تاشفين بن علي بن يوسف في العشر الأولى من جمادى الأولى سنة خمسمائة وثمانى وثلاثين على وجه التحديد إلى أهل بلنسية يقدم لهم فيها توجيهات دينية وإدارية ومن بين هذه التوجيهات إحراق كتب أبي حامد الغزالي وأن تأخذ الأيمان المغلظة على من يتهم بكتمانها³.

بالرغم من إقرار الأمير علي بن يوسف ومن بعده خليفته تاشفين بحرق كتاب الإحياء إلا أنّ هذا الأمر لم يلقى الإجماع عند بعض الفقهاء والذين عارضوا هذا القرار

¹ ابن القطان المراكشي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 70 - 71 ؛ ابن عذارى: البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، محمود عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013، ج3، ص 48 - 49.

² ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج6، ص 226 - 227

³ حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000، ص 17. 21 ؛ محمد المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص، ط1، المدارس، الدار البيضاء - المغرب، 1991، ص 50 - 52 .

ونجد منهم علي بن عبد الله الجذامي من أهل المرية والذي يعرف بالبرجي، حيث أوجب عند استفتائه حول قضية إحراق كتب أبي حامد الغزالي تأديب محرقيها ودفع قيمتها¹، وبالإضافة إلى علي بن عبد الله الجذامي فقد انتصر أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بالنحوي لقرار إحراق الإحياء وكتب إلى أمير المسلمين في ذلك، قام بنسخ كتاب الإحياء في ثلاثين جزءاً، وقال في ذلك: وددت أني لم أنظر في عمري سواها².
ومن بين القصص والمواقف الغريبة التي صاحبت عملية إحراق الإحياء ما ذكره أبو الحسن بن حرزهم والذي عرف، لما وقف على كتاب الإحياء وجده مخالفاً للكتاب والسنة وكان شيخاً مطاعاً في بلاد المغرب فأمر بإحضار نسخ الإحياء وطلب من السلطان أن يلزم الناس بذلك واجمع الفقهاء على حرقه، وفي اليوم الموالي تراجع عن ذلك بسبب رؤيته النبي صل الله عليه وسلم والذي أمر بضربه بالسياط حدّ المفتري³، فلما استيقظ جعل يقلب ظهره فوجد الألم الشديد من ذلك، فتاب إلى الله ثم تأمل تلك المسائل فوجدها موافقة للكتاب والسنة⁴، ولم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة وهي إحراق كتاب الإحياء⁵.

¹ محمد بن عبد الملك: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: إحسان عباس، بشار عواد معروف، محمد بن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ج3، ص259.

² يوسف بن يحيى التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، تح: أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، 1997، ص96.

³ ينظر السبكي: المصدر السابق، ج6، 257 - 260؛ الياضي، المصدر السابق، ج3، ص252.

⁴ أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء - المغرب، 1979، ج2، ص207.

⁵ المصدر نفسه: ج2، ص75.

2- الأسباب الحقيقية لإحراق كتاب الإحياء

أ - تساهل الغزالي مع علم الحديث وموقفه من الحروب الصليبية

عرف عن الإمام الغزالي عدم تمكنه من علم الحديث وهذا باعتراف منه، حيث أقر بأنه مزجى البضاعة في الحديث¹، وهو من أبرز ما سجل على مصنفات الغزالي عامة والإحياء خاصة فالغزالي لم يكن محصلاً لعوم الحديث إلا في مرحلته الأخيرة من حياته، فنجد في كتاب الإحياء قد حشاه بالأحاديث الموضوعة وذلك لقلّة معرفته بالنقل حيث شبهه في ذلك ابن الجوزي بحاطب الليل²، وذلك لعدم قدرته على التمييز بين الضعف والصحيح³، وبلغ عدد الأحاديث الموضوعة والضعيفة قرابة تسعمائة وبضعة وأربعين حديث⁴.

وما يأخذ على الغزالي أيضا في كتابه الإحياء هو عدم تخصيصه لأي فصل للحديث عن الجهاد⁵، ويؤكد هذا الموقف السلبي لأبي حامد الغزالي اتجاه الحروب الصليبية زكي مبارك الذي اعتبر أنه بينما كان الغزالي غارقا في خلوته غير داع إلى

¹ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص241.

² ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج17، ص 125 .

³ تقي الدين ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1991، ج7، ص149.

⁴ محمد بن عبد الرحمان المغراوي: العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية و قدرتها على مواجهة التحديات، ط1، دار المنار ، الرياض . المملكة العربية السعودية ، 1414 هـ ، ص 8 - 11.

⁵ عبد الرحمان دمشقية : أبو حامد الغزالي والتصوف، ط1 ، دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1986 ، ص 221 - 225 .

الجهاد، كان بطرس الناسك (ت508هـ/1115م) يقضي ليله ونهاره لجمع الأوروبيين وترغيبهم على امتلاك أراضي المسلمين¹.

ب - التعصب المذهبي

عرفت دولة المرابطين بتصدر طبقة الفقهاء للمشهد السياسي والفكري خاصة على عهد علي بن يوسف بن تاشفين وهو ما يفسر ضلوعهم في أحد أبرز القضايا والتي أثارت لغطا كبيرا والمتمثلة في إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، حيث كان للفقهاء في عهده دور كبير في توجيه السياسة المرابطية بحسب الاتجاه الفقهي الذي يعتمدونه فكان أمير المسلمين على الرغم من اتصافه بالعدل والتدين إلا أنه لم يكن يتصف بالحنكة السياسية والشخصية القوية²، حتى أنه عُدَّ من الزهاد والمتبتلين³، وبالحديث عن التعصب المذهبي كدافع من دوافع إحراق كتاب الإحياء نجد حسن إبراهيم حسن يرجع عملية الإحراق إلى دافعين بارزين قد عبّرَا عن تعصب فقهاء المرابطين المالكية لمذهبهم في زمن أصبحت الهوة تتسع أكثر فأكثر في الغرب الإسلامي بين الفقهاء والصوفية خاصة بعد دخول الإحياء، فالسبب الأول يتمثل في الإتجاه الفقهي لكتاب الإحياء على مذهب الشافعي، والسبب الثاني حول ما تضمنه الإحياء من روح صوفية واضحة تسير وفق فلسفة كلامية وهو ما كان مشجوبا ومكروها لدى الفقهاء المالكية و الذي هو مذهب دولة

¹ زكي مبارك : الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة - مصر، 2012، ص 27 .

² أسامة عبد الحميد حسين السامرائي: "دور الفقهاء في السياسة المرابطية وإحراق علوم الدين"، مجلة سر من رأي، المجلد الأول، السنة الأولى، العراق، 2005، العدد الأول، ص 14.

³ الصفدي: المصدر السابق، ج 22، ص 212 .

المرابطين الرسمي وتعدى الأمر إلى التحريم¹، وهو نفس الموقف الذي عبر عليه خالد كبير علال معتبراً عملية إحراق كتاب الإحياء صورة من صور التعصب المذهبي التي شهدتها التاريخ الإسلامي وذلك لما حمله الكتاب من مقالات كلامية و أشعرية و فلسفية و صوفية تخالف ما هو عليه من مذهب السلف وأهل الحديث في أصول الدين².

ج - موقف دولة المرابطين من علم الكلام والتصوف

لم تلق الحركة الفلسفية رواجاً كبيراً في المغرب و الأندلس على عهد المرابطين وذلك لاعتماد هذه الدولة المذهب المالكي لتسيير شؤونها، و قد توجهت دولة المرابطين موقفها من الفكر الكلامي والفلسفي بإحراق كتب الغزالي، وذلك لاعتقاد أهل الفقه بأن كتبه مليئة بأراء المتكلمين ومذاهب الصوفية³، ويذكر القاضي عياض ذلك أن أبي حامد قد غلا في التصوف وصار داعية في ذلك متجرداً لنصرته⁴، ذاكراً لقصصهم التي تحمل العديد من المبالغة⁵، حيث قال المغاربة في الإحياء هذا إحياء علوم دينه وأما ديننا فأحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله⁶، وتعدى ذلك إلى تكفير من يخوض في علم الكلام

¹ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الإجتماعي، ط14، دار الجيل، بيروت - لبنان ، 1996، ج4، ص 431 . 432 .

² خالد كبير علال : التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي _ مظاهره ، آثاره ، أسبابه ، علاجه _ ، دار المحتسب ، الجزائر، 2008، ص 98 .

³ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت - لبنان، 2000، ص347.

⁴ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص327.

⁵ الصلابي: دولة السلاجقة، ص410

⁶ ابن كثير: البداية والنهاية، ج16، ص214.

وحجتهم في ذلك كراهة السلف له وهجرهم له باعتباره بدعة في الدين قد تؤدي إلى إحداث خلل في العقيدة، واستطاع الفقهاء إقناع علي بن يوسف بهذا الموقف من علم الكلام وأهله وكتب إلى الأمصار بالتشديد والوعيد على الخوض فيه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه¹، ومن الأمور التي أنكرت على الغزالي في مصنفاته هو قوله أن المنطق هو مقدمة العلوم كلها، ومن لم يحط به فلا ثقة له بعلمه².

وما يعزز موقف الفقهاء اتجاه كتاب الإحياء هو تصريح أبي حامد الغزالي بأنه سيمارس التقية فيه وذلك بحسب طبيعة الموضوع المتناول وعلاقته بالتصوف والتي حرص الغزالي على إخفائها من جهة، وعلى نشرها والانتصار لها عن طريق الإشارة لها والتلميح لها من جهة أخرى³.

استمرت سياسة المرابطين في موقفها من أهل البدع وعلم الكلام وأهله إلى آخر عهدها وهو ما عبرت عليه المكاتبة التي قام بها تاشفين بن علي إلى أهل بلنسية بأمرهم فيها بمحاربة البدع وكتبتها وبخاصة كتب الغزالي⁴، واستند الفقهاء في تبرير ذلك إلى ما تضمنه الإحياء من آراء كلامية وفلسفية وهذا ما يعكس خضوع السلطة لنفوذ الفقهاء، وربما كان سبب الإحراق ما ورد في الإحياء من هجوم على طبقة الفقهاء الذين يتخذون

¹ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص121.

² الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص68.

³ ينظر خالد كبير علال: التضييل والتحريف في كتاب أبي حامد الإحياء، ط1، دار المحتسب، الجزائر، 2004، ص6.

⁴ ينظر الوثيقة رقم 1، ص70.

من العلم والدين مطية لتحقيق أطماع دنيوية¹، وهو الرأي الذي تبناه بعض المؤرخين المحدثين الذين أرجعوا سبب الهجمة الشرسة التي قادها فقهاء المرابطين بسبب ما تضمنه من نقد لاذع لطبقة الفقهاء وفضحه لهم والتنويه بجهلهم وتناولهم للأمر الشرعية بسخافة²، واعتبرهم الغزالي أصحاب دنيا طامعين في المناصب والمراتب " فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أدلة بالإقبال عليهم"³، وبضيف الغزالي حول عدم التزام الفقيه بالأخلاق الفاضلة رغم علمه بها وعبر عن ذلك في قوله "... وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور، إذ قال الله تعالى: { قد أفلح من زكّاه } ولم يقل قد أفلح من علم كيفية تزكيتها"⁴، ولم يكتف الغزالي بهذا الموقف السلبي اتجاه طبقة الفقهاء والعلماء بل ذهب إلى ابعاد من ذلك حينما حملهم مسؤولية فساد المجتمع وعبر عن ذلك في الإحياء بقوله: إنما فسدت الرعية بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد

¹ خليل إبراهيم السامرائي: المرجع السابق، ص 448.

² عبد الله عنان: المرجع السابق، ج 3، ص 79.

³ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ط 1، دار المناهج، جدة - المملكة العربية السعودية، 2011، ج 1، ص 156.

⁴ أبو حامد الغزالي: المصدر السابق، ج 6، ص 637.

العلماء فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم"¹، هذا

الفساد إنما هو نتيجة لجمودهم الفكري الذي ميز تلك الحقبة².

وبحسب يحي هويدي أنّ فقهاء المرابطين امتعضوا من الغزالي بوصفه لهم بحملة

الأسفار الذين لا يفقهون³، لكن المتمعن للنص الذي أورده الغزالي في إحيائه يقف على

أنّ الطرح الذي تبناه يحي هودي فيه الكثير من المغالطة لأنه قام ببتتر القول الأمر الذي

أدى إلى اختلال المعنى بحيث أن الغزالي يعتبر أن الفقيه الذي يصيبه الغرور قد يوصله

غروره إلى الطعن في المُحدِّثين ويعتبرهم مجرد نَقْلَةَ أَخْبَارٍ وَحَمَلَةَ أَسْفَارٍ لَا يَفْقَهُونَ وذلك

في قوله : " وَأَمَّا غُرُورُهُ مِنْ حَيْثُ الْعِلْمُ فَحَيْثُ اقْتَصَرَ عَلَى عِلْمِ الْفَتَاوَى وَظَنَّ أَنَّهُ عِلْمُ

الدين وترك كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَبِّمَا طَعَنَ فِي الْمُحَدِّثِينَ

وَقَالَ إِنَّهُمْ نَقْلَةُ أَخْبَارٍ وَحَمَلَةُ أَسْفَارٍ لَا يَفْقَهُونَ مَا فِيهَا"⁴.

إنّ التسليم بالطرح القائل بأن نقد الغزالي لطبقة الفقهاء والعلماء كان موجهاً إلى

الفقهاء المرابطين أمر لا يستقيم، ذلك أنّ الغزالي قد راسل أمير المسلمين يوسف بن

تاشفين وأكد له فيها على أهمية دور الفقهاء ووصاه خيراً بهم، بالإضافة إلى تركيته

¹ نفسه، ج3، ص573.

² سلامة محمد سليمان الهرفي: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين _ دراسة سياسية وحضارية _ ، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، 1985، ص 325 .

³ يحي هويدي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، 1965، ج1، ص 206 - 207.

⁴ الغزالي: المصدر نفسه، ج6، ص654.

ليوسف بن تاشفين لما بلغه عنه من اهتمامه وتقديره للعلم و أهله ونيته الركوب إليه، وهو الذي أيده في مشروعه لضم الأندلس وهو ضمناً تأييد لفقهاء المغرب¹.

يمكن القول أن السبب الحقيقي الذي كان وراء إحراق المرابطين لكتاب الإحياء هو المنهج الصوفي الذي سلكه أبو حامد الغزالي وتجاهله لقانون لقانون الفقه².

د - بعض مواقف الفقهاء التي سجلت على الغزالي وكتابه الإحياء

موقف أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي

المازري (ت536هـ/1141م)*

بعد أن كثرت المكاتبات مشرقاً ومغرباً للإمام المازري حول رأيه وموقفه من كتاب إحياء علوم الدين والذي تعددت حوله الآراء بين من انتصرت وتعصبت وحرقت ، وبين من منه حذرت ونفرت، وفي ردّ للمازري إزاء الإحياء نجده الإلتزام بأداب الردّ، حيث ابتدأ مقاله بالمدح والثناء على الغزالي³، ثم يبدأ المازري بتسجيل تحفظاته عن مناهل الغزالي

¹ عبد المجيد الصغير: أبو حامد الغزالي دراسة في فكره وعصره وتأثيره، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، المغرب، جامعة محمد الخامس سلسلة ندوات ومناظرات رقم 9، 1988، ص 184 .

² ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 2001، ص149.

* المازري: الشيخ الإمام العلامة البحر المتقن، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي. مصنف كتاب "المعلم بفوائد شرح مسلم" ومصنف كتاب "إيضاح المحصول في الأصول"، وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء، الموصوفين والأئمة المتبحرين، وله شرح كتاب "التلقين" لعبد الوهاب المالكي في عشرة أسفار، هو من أنفس الكتب. وكان بصيراً بعلم الحديث. مولده بمدينة المهديّة من إفريقية، وتوفي بها في ربيع الأول، سنة ست وثلاثين وخمس مائة، وله ثلاث وثمانون سنة ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج 14 ، ص 482.

³ محي الدين زكريا يحي بن شرف النووي: طبقات الفقهاء الشافعية، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة - مصر، 2009، ص 101؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج11، ص 62 .

في طلب العلم وكيف أثرت عليه في عملية التصنيف ومن بينها قراءته لكتب الفلسفة والتي وظفها في بعض تفسيراته لقضايا شرعية ومن جملة الكتب الفلسفية التي قرأها الغزالي رسائل إخوان الصفا و اعتماده على كتابات ابن سينا الفلسفية، واعتماده على ابن حيان التوحيدي في التصوف هذا ما جعل المازري يحذّر من قراءته ممن لا يمتلك بسطة في العلم¹، ويختم المازري موقفه من كتاب " الإحياء " بأنه لولا علمه بأن موقفه هذا سيقروّه الخاصة ممن عنده علم يأمن به على نفسه لم يتعرض إلى محاسن الكتاب وذلك لئلا يُظن بأنه متعصب وغير منصف² .

موقف محمد بن الوليد الطرطوشي(520هـ/1126م)*

لم يختلف موقف محمد بن الوليد الطرطوشي كثيراً عن موقف الإمام المازري ، حيث بدأ كلامه بعبارات المدح والثناء على شخص الإمام الغزالي منوها في نفس الوقت بجمعه لشئى أصناف العلوم ، ثم يعرج عن التحول الذي وقع في مسار حياة الغزالي والتي كان لها الأثر البالغ على مسيرته العلمية إذ يقول : " ...ثم بدا له الإنصراف عن

¹ المصدر نفسه، ص102.

² نفسه، ص 103 .

* أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه المالكي الزاهد، المعروف بابن أبي رندقة، صحب أبا الوليد الباجي بمدينة سرقسطة، وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه، وأجاز له، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه، رحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة و حج ودخل بغداد والبصرة، وتفقّه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي الفقيه الشافعي وعلى أبي أحمد الجرجاني، وسكن الشام مدة ودرس بها. وكانت ولادته سنة ولادة الطرطوشي المذكور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة تقريباً. وتوفي ثالث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة بغير الإسكندرية. ينظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، 262 - 265 .

طريق العلماء ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف فهجر العلوم وأهلها ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب و وساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج يطعن على الفقهاء والمتكلمين ، ولقد كان ينسلخ من الدين فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات¹

موقف الفقيه أبو الوليد بن رشد (ت520هـ/1126م)*

وضع أبو الوليد بن رشد ردا على أبي حامد الغزالي وذلك في كتابه وصف مناهج أدلة المتكلمين عند تعريجه على طرق الأشعرية والمعتزلة والفلاسفة والصوفية والمشوية وما أحدثه المتكلمون من الضرر في الشريعة بتوالي فهم مستشهدا بأبي حامد الغزالي وقال فيه: " فإنه طمّ الوادي على القرى، ولم يلتزم طريقة في كتبه، فنراه مع الأشعرية أشعريا ومع المعتزلة معتزليا، ومع الفلاسفة فيلسوفا ومع الصوفية صوفيا...والذي يجب على أهل العلم، أن ينهوا الجمهور عن كتبه...²، ثم ينوه بإحكامه وتمكنه في علم الأصول وحسن تصنيفه المسائل الفقهية والخلافية على المذهب الشافعي، في حين نجده في الكتب التي سلك فيها مذهب التصوف بنى الكثير من الإعتقادات فيها على مذاهب الفلاسفة

¹ السبكي : المصدر السابق، ج6، ص 243 .

* ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد، الإمام العلامة، الفقيه، الحافظ، شيخ المالكية، قاضي الجماعة بقرطبة، توفي سنة خمسمائة وعشرين. ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص501 - 502.

² لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، ج3، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 1975، ص 265.

والمتمصوفة¹، ومما يأخذ أيضا عن الغزالي تخصيصه لفصل طويل في كتابه مشكاة الأنوار للحديث عن الحلاج يدافع فيه عليه ويعتذر له².

بعد أن تمكنا من تضيق دائرة الأسباب التي أفضت إلى حرق كتاب الإحياء والتي يمكن إرجاعها إلى ما تضمنه الإحياء من روح صوفية واضحة تسير وفق فلسفة كلامية والتي تتنافى مع المذهب المالكي، وهو الأمر الذي يحتم علينا الرجوع إلى بعض المواقف التي سجلت على الإمام الغزالي في ما ضمنه في إحيائه، بالإضافة إلى ضعفه في الحديث وتساهله فيها في كتاب الإحياء وهي الحجة التي أقيمت عليه³.

ثالثا : حادثة إحراق " الإحياء " وتداعياتها على دولة المرابطين

لقد رافق عملية إحراق الإحياء العديد من التحليلات والاستنتاجات وفي بعض الأحيان ارتقت إلى الخرافات والحكايات وذلك من خلال ربطها بسقوط دولة المرابطين على يد الموحدين وصاحب دعوتها محمد بن تومرت، هذا الأخير كان محور هذه الاستنتاجات والتحليلات بحكم اللقاء الذي جمعه بالإمام الغزالي، هذا اللقاء تعددت حوله آراء المؤرخين وانقسمت بين من أكدته، وبين من شككت فيه، وبين من نفته جملة وتفصيلا.

¹ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 266 - 267.

² اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1997، ج2، ص191.

³ محمد بن الحسن الثعالبي: الفكر السامي في الفقه الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995، ج2، ص 394 .

يرى ثلة من المؤرخين أن ابن تومرت التقى فعلياً بالإمام أبي حامد الغزالي في رحلته العلمية إلى المشرق حيث تلقى العلم على يد ثلة من المشيخة المشرقية من أمثال الكياهراسي وأبي بكر الطرطوشي إلى جانب الغزالي¹، ويجمع أصحاب هته الرواية على أن ابن تومرت حضر لمجلس من مجالس أبي حامد الغزالي العلمية، فسأل الغزالي ابن تومرت حول إذا ما وصل كتابه " إحياء علوم الدين " إلى المغرب، فأخبره ابن تومرت بواقعة إحراقه من طرف المرابطين، فدعا الإمام الغزالي على الملتئمين بزوال ملكهم والطلبة يُؤمنون، وطلب ابن تومرت من الغزالي أن يجعل ذلك على يده فتغافل الغزالي عن ذلك². وينفرد ابن أبي دينار وابن أبي زرع الفاسي بالرواية التي مفادها تلقي ابن تومرت العلم على يد الغزالي وملازمته له مد ثلاث سنين تقرب فيها إليه بالطاعة والخدمة ليأخذ العلم عنه وتتبأ الغزالي بالملك والسلطان لابن تومرت بالملك والسلطان بالمغرب الأقصى³، ويرجح عبد المجيد النجار هذا القول من منطلق الرغبة الجامحة للمهدي ابن تومرت في تحصيل شتى أنواع العلوم والمعارف على كبار العلماء و المشيخ في المشرق، وهو ما دفعه للخروج من بلاد السوس منتقلا بين مختلف الحواضر العلمية⁴.

¹ ابن القطان : المصدر السابق، ص 72 - 73 ؛ الحلل الموشية، ص104- 105؛ محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضي، ط2، المكتبة العتيقية، تونس، د س ، ص 4؛ الذهبي: العبر، ج2، ص421؛ الياضي: مرآة الجنان، ج3، ص178.

² المصدر نفسه، نفس الصفحة؛ الزركشي : المصدر نفسه، ص 4 .

³ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية، تونس ، 1386هـ، ص107؛ ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - المغرب، 1972، ص 172؛ الناصري: المصدر السابق، ج2، ص90.

⁴ ينظر: عبد المجيد النجار: تجربة الإصلاح عند المهدي بن تومرت، ص58 وما بعدها.

ونجد بعض المؤرخين ممن تعاملوا مع هذه الحادثة التاريخية بتحفظ حول لقاء بن تومرت بالغزالي فلا هم أكدوه ولا هم نفوه مستخدمين في نفس الوقت عبارات الشك والريبة، فصاحب المعجب مثلاً يعلق على رحلة بن تومرت العلمية باتجاه المشرق " وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي¹، وهو نفس الطرح الذي تبناه ابن خلدون حيث عبر عن اللقاء الذي جمع بن تومرت بالغزالي قائلاً " ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي"².

في حين عبّر بعض المؤرخين عن استحالة هذا اللقاء وفي مقدمتهم ابن الأثير حيث عبر عن ذلك صراحة في قوله " وكان بن تومرت قد رحل في شببته إلى بلاد الشرق في طلب العلم... واجتمع بالغزالي، وإلكيا هراسي، واجتمع بأبي بكر الطرطوشي بالإسكندرية، وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي، والصحيح أنه لم يجتمع به"³، وهذا _ حسب رأي _ هو الطرح السليم وذلك لسببين: الأول أن ابن الأثير مشرقي وهو الأقرب والأوثق من الناحية الجغرافية ومن حيث قربه الزمني للحدث مقارنة مع أصحاب باقي الروايات الأخرى (630هـ/1232م)، والسبب الثاني أن أصحاب الرواية المؤكدة لهذا اللقاء قامت بكتابتها في البلاط الموحي في محاولة لإضفاء نوع من الشرعية والقداسة لدعوة ابن تومرت.

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق: ص 127 .

² عبد الرحمان ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2000، ج6، ص 302 .

³ ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص 654.

وهو ما يؤكد عبد الله عنان إذ عبّر عن استحالة هذا اللقاء من الناحية العملية والتاريخية ، ذلك أنّ ابن تومرت خرج سنة خمسمائة أو خمسمائة وواحد في طلب العلم، وقضى فترة في الأندلس، وفي المهديّة، فالإسكندرية، ثم سافر لقضاء فريضة الحج، ثم قصد بغداد سنة خمسمائة وأربعة أو خمسمائة وخمسة، في حين خرج الغزالي من بغداد سنة أربعمائة وثمان وثمانين¹، في رحلته التأملية التي استمرت إلى غاية أربعمائة وتسع وتسعين قبل أن يعود إلى بغداد والتي مكث بها فترة وجيزة قبل أن يرحل إلى نيسابور للتدريس استجابة لدعوة السلطان ملك شاه، ثم غادرها إلى مسقط رأسه طوس إلى أن وافته المنية سنة خمسمائة وخمسة، وهو ما ينفي لقاء ابن تومرت بالإمام الغزالي²، ويضيف عبد الله عنان أنّ ما يبطل هذا اللقاء هو سنة حرق الإحياء التي كانت سنة ثلاث وخمسمائة وهذا بشهادة ابن القطان نفسه وذلك بعد أن غادر الغزالي إلى نيسابور آخر مرة وقبيل وفاته بنحو عام، فأين إذن ومتى كان لقاء ابن تومرت به ؟ وكيف نستطيع إزاء هذه المفارقات الزمنية أن نصدق تلك القصة التي نسجت حول إحراق الإحياء ؟ فهي إذن مجرد أسطورة نسجت كما نسجت نسبة ابن تومرت إلى آل البيت لتغدو هالة تحيط بشخصيته وسيرته وتذكي حالة من القدسية على دعوته³.

¹ ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص206 - 207؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص217؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج16، ص147.

² عبد الله عنان: المرجع السابق، ج3، ص161.

³ المرجع نفسه، ج3، ص162 .

ونجد حسين مؤنس يذهب إلى أبعد من ذلك في نفيه للقاء المزعوم بين الغزالي وابن تومرت حين عبر على أن رحلة ابن تومرت العلمية إلى المشرق لم تتجاوز الإسكندرية وربما وصل القاهرة كأقصى تقدير، حيث أطال المكوث في مصر والقيروان أين حصل كما هائلاً من المعارف والعلوم لتحقيق طموحه السياسي¹.

بعد عرضنا لمختلف الآراء حول اللقاء الذي جمع ابن تومرت بالغزالي من عدمه يمكن القول أن المصادر التي أكدت لهذا اللقاء قد أحجمت عن ذكر الأسباب الحقيقية التي أدت إلى سقوط دولة المرابطين وجعلوا من قضية الإحراق و دعاء الغزالي على دولة المرابطين بزوال ملكهم سببا رئيسيا في سقوط دولة المرابطين ناسين أو متناسين الأسباب الحقيقية والتي تحمل الكثير من الموضوعية²، وقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك معتبرين أن سقوط دولة المرابطين على يد عبد المؤمن بن علي يعتبر كرامة من الكرامات لأبي حامد الغزالي بسبب إحراق كتابه الإحياء³، ومنه التسليم بهذا الرواية فيه الكثير الغلو لصالح دولة الموحدين على حساب دولة المرابطين.

ويمكن القول أن قضية الإحراق كانت من بين الأسباب التي أدت إلى سقوط دولة

المرابطين من خلال :

¹ حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، 1996، ج2، ص 114.

² ينظر حول أسباب سقوط دولة المرابطين عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 125 . 126 .

³ السبكي: المصدر السابق، ج6، ص 219 .

انعكاس الجدل والخلاف حول كتب الغزالي وبالتحديد كتاب الإحياء والذي خلّف لغطاً كبيراً في المغرب والأندلس بالسلب على دولة المرابطين، حيث أوجد هذا الصراع بين الفقهاء والقضاة حالة من الشغور لدى الناس لمعرفة دينهم، إذ أن هذا الجدل لم يكن ليفيد العامة في شيء وظهر ذلك جلياً في ضعف تعبئة الناس للجهاد لصدّ هجمات النصارى¹.

استغل ابن تومرت قضية إحراق كتاب الغزالي أحسن استغلال وجعلها قميص عثمان فهاجم المرابطين والفقهاء، ومع أنّ مسألة إحراق الكتب كان شيئاً مألوفاً على الأقل في الأندلس، فقد استغل ابن تومرت هذه الحادثة بذكاء شديد ضدّ المرابطين وفقهائهم وكأنهم أقدموا على حرق كتاب مقدس².

كما يمكن القول أن الغزالي قد ألف كتابه " إحياء علوم الدين " وفي نيته أن هذا من أسباب إصلاح أحوال المسلمين، ولكن يؤخذ على الكتاب حشوه بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والقصاص غير المعقولة من شطحات صوفية، والكلام الفاسد من الفلاسفة، ومع ذلك ففي كتابه نظرات إصلاح النوايا والقلوب، وكانت بحوث الغزالي في النوايا البشرية عميقة أثرت تأثيراً كبيراً في واقع المسلمين³، وحسبنا دليلاً في ذلك الموقف الوسطي الذي سلكه ابن تيمة من كتاب الإحياء، حيث وصفه بالكتاب الذي يحوي فوائد

¹ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1988، ص 35.

² المرجع نفسه، ص38.

³ علي محمد محمد الصلابي: الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة - مصر، 2006، ص124.

كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة من كلام الفلاسفة خاصة المتعلقة بالعقيدة، وذكره للأغاليط الصوفية وترهاتهم¹.

أمّا حول الاتهامات التي وجهت لدولة المرابطين بسبب سياستها المنتهجة والمتمثلة في تصدر الفقهاء للمشهد العلمي والسياسي معاً وما أفرزته هته السياسة من بعض القرارات كقضية إحراق كتاب "الإحياء" فيه الكثير من الإجحاف، فهذا لا يعني بالضرورة تهميشاً وانتقاصاً لمختلف شرائح الطبقة الفكرية الأخرى، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلكل دولة الحرية التامة في إختيار السياسة العامة للبلاد ورسم توجهاتها الدينية والمذهبية والفكرية والسياسية، ثم أين الخلل أن تُجعل مقاليد الحكم بيد الفقهاء؟ والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة لم تكن حكراً على دولة المرابطين و فقط وإنما هي ظاهرة شهدتها مختلف الدول الإسلامية مشرقاً ومغرباً².

¹ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمان بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، 1995، ج10، ص551.

² عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، طنجة - المغرب، 1960، ج1، ص68.

الفصل الثاني

تمهيد

شكل قيام دولة الموحدين (541هـ/1147م) على أنقاض دولة المرابطين حدًا فاصلاً بين اتجاهين سياسيين مختلفين أو بالأحرى اتجاهين دينيين مختلفين وذلك انطلاقاً من دعوة المهدي بن تومرت* والذي تزعم هذه الدعوة ضدّ المرابطين وفقهائهم متهما إياهم بالتجسيم عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتتميز توجه بن تومرت الديني بحرية فكرية تدعو إلى إعطاء العقل هامش أكبر للاجتهاد على حساب التقيد بالنص، وذلك امتداد لتكوينه الفكري وتنوع مناخه العلمية بين الشافعية والأشعرية والظاهرية والمعتزلة، وهو ما يتعارض مع التوجه الديني لدولة المرابطين، وقد تبنى أمراء الدولة الموحدية عقيدة المهدي بن تومرت بإعلانهم الحرب على علم الفروع وأهله، حيث تذكر المصادر المحارق التي طالت كتب الفقه المالكية والتي كان يؤتى بها بالأحمال لتضرم فيها النار¹.

ورغم هذا التوجه الفكري والديني أقدمت السلطة الموحدية على مصادرة بعض الأفكار التي تحمل نفس توجهها، معيدة بذلك تجربة المرابطين بالخضوع إلى السلطة الدينية.

* ابن تومرت (485هـ - 524هـ): أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بالمهدي، من جبل سوس في أقصى بلاد المغرب الأقصى أين نشأ، ثم ارتحل إلى المشرق لطلب العلم، أين التقى بجهاذة من علماء المشرق أمثال الطرطوشي والكيهراسي وغيرهم، عرف بالورع والزهد مقبلاً عن العبادة أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر أينما حل وارتحل، صحب دعوة الموحدين ضدّ المرابطين. ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص45 - 55؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص539 - 552؛ الزركلي: الأعلام، ج6، ص228 - 229.

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص197 - 198.

أولاً : ترجمة لإبن رشد الحفيد(520-595هـ/1126-1198م)

1- مولده ونشأته

محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد ، يكنى أبت الوليد وهو حفيد أبي الوليد قاضي الجماعة بقرطبة¹، ولد قبل موت جده بشهر سنة عشرين وخمسمائة²، فقيه حافظ تولى قضاء قرطبة، يسميه الإفرنج (Averroes) عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة³.

كان ابن رشد حسن الخلق جميل المداراة فصيح العبارة وجادا للكلام في المجالس السلطانية والمحافل الجمهورية⁴، وعرف ابن رشد بشدة تواضعه وحرصه على تعلم مختلف المعارف وذلك من صغره إلى كبره، وحُمدت سيرته في القضاء بقرطبة وحظي بمنزلة ووجاهة رفيعة عند الملوك والتي لم يوظفها في قضاء مصالحه الشخصية كجمع للأموال وغيرها، وإنما صرفها لتحسين مصالح أهل بلده خاصة والأندلس عامة⁵، هذا ولم يذكر قط إقبال ابن رشد على مجالس اللهو والطرب مما استباحه بني عصره ، حيث كان

¹ علي بن عبد الله النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، تح : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت . لبنان ، 1983 ، ص 111 .

² الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص 426 .

³ الزركلي : المرجع السابق، ج5 ، ص 318 .

⁴ ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، ج4، ص 22.

⁵ ابراهيم بن نور الدين ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح : مأمون بن محي الدين الجنان، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1996 ، ص 379 .

يتعفف عن حضور هذه المجالس ، وبلغ تعففه هذا إحراقه لأشعار الغزل التي نظمها في شبابه¹ .

قال عنه ابن الأبار: لم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلماً وفضلاً ، وكان أشدّ الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً ، وعنى بالعلم من صغره إلى كبره حتى حكي عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلاّ ليلتين ليلة موت أبيه ، وليلة عرسه² .

توفي ابن رشد بمراكش ليلة الخميس التاسع من صفر خمس وتسعين وخمسائة، ودفن بجبانة باب تاغزوت خارجها ثلاثة أشهر، ثم حمل إلى قرطبة فدفن بها في روضة سلفه بمقبرة ابن عباس³ .

2- حياته الفكرية

نشأ ابن رشد في بيئة علمية وذلك بداية بأسرته فقد كان والده وجده من أعلام الأندلس ومشاهيرها في الفقه والقضاء بحيث تبوأ كل منهما منصب القضاء، وبالإضافة إلى مكانة أسرة بن رشد العلمية فقد كان لهذه الأسرة شأن كبير في ميدان السياسة، وأمام

¹ عباس محمود العقاد: ابن رشد، ط6، دار المعارف، القاهرة - مصر، دس، ص 20 .

² ابن الأبار بن عبد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، 1995، ج2، ص 74 .

³ ابن عبد الملك : المصدر السابق، ج4، ص 33؛ الضبي: بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989، ج1، ص74 .

هذا المناخ الفكري والسياسي الخصب فقد تنوعت معارف ابن رشد من فقه ، وشعر ،
ورياضيات، وفلك، وفلسفة¹.

وكان كثيرَ الدرس والمطالعة، لا يشغله عن البحث والنظر شاغل، وتشهد بذلك كثرةُ
مؤلفاته²، هذا وقد بدأ ابن رشد تحصيله للمعارف بالعلوم النقلية مقتدياً في ذلك بجده
ووالده، فكان علم التوحيد على مذهب الأشاعرة، والفقه على المذهب المالكي³، حيث أخذ
على الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق⁴، ثم عرض الموطأ على والده أبي القاسم وتلقى
من أبي مروان ابن مسرة ، وأخذ أيضاً عن الفقيه أبي القاسم ابن بشكوال، وأبي جعفر بن
عبد العزيز ، وأجاز له عبد الله المازري، كما أخذ الطب عن أبي مروان بن حزبول
البلنسي⁵، وأبي الفضل عياض، وأخذ العربية عن أبي بكر بن سمحون، ولقي جماعة
وافرة من أهل العلم وأخذ عنهم⁶.

كان ابن رشد بارعا في علوم الطب واللغة العربية وفنونها، حيث عرف عنه كثرة
استشهاده بالأبيات الشعرية خاصة لأبي تمام والمنتبي، مع إيراده للحكايات والأخبار

¹ هنري كوبرمان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، تر: نصير مروة، حسن قبسي، ط2 ، عويدات للنشر والتوزيع ، بيروت -
لبنان، 1998، ص 358.

² محمد صديق خان الحسيني : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، ط1 ، وزارة الشؤون والأوقاف ،
قطر ، 2007 ، ص 290 .

³ إرنست رينان :ابن رشد والرشدية ، تر : عادل زعيتر ، ط1 ، دار إحياء التراث العربية ، القاهرة . مصر ، 1957 ،
ص 33 ؛ ينظر: عمار الطالبي : "مصادر ابن رشد الفقهية" ، مجلة كلية أصول الدين الصراط، السنة الأولى، العدد
الثاني، الجزائر، مارس 2000، ص149.137.

⁴ ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه ، ص 530 .

⁵ ابن الأبار : المصدر السابق، ج2 ، ص 74 .

⁶ ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج4 ، ص 22 .

تنشيطا للطلبة بمجالسه العلمية¹، بالإضافة إلى تمكنه من الفلسفة وعلم الكلام حتى صار يضرب به المثل في ذلك²، ويوصف ابن رشد بأنه "الشارح الأكبر للفلسفة أرسطو" ذلك أنه لم يكتف بمجرد الشرح وإنما قام بتهديبها بفضل إجهاده³.

ومن تلاميذ ابن رشد نذكر: أبو بكر بن جهور، وأبو الحسن سهل بن مالك، أبو عامر بن نذير، عبد الرحيم بن إبراهيم ابن الفرس، ابن عيسى ابن الملجوم، القاسم ابن الطيلسان، محمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن الحاج، أبو محمد عبد الكبير⁴، وأبو محمد بن حوط الله⁵.

3- إنتاجه الفكري

تنوعت تصانيف ابن رشد وتعددت بين مختلف العلوم النقلية والعقلية حيث بلغت تصانيفه قرابة الخمسين مصنف⁶، ومن أبرز هذه العناوين نذكر:

بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه والذي قدم فيه أسباب الخلاف وعلل ووجه فأفاد وأمتع به ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا، وكتاب الكليات في الطب ومختصر المستصفي في الأصول⁷، وكتاب التحصيل الذي جمع فيه اختلاف أهل العلم

¹ المصدر نفسه ، ص 23 .

² الصفدي: المصدر السابق، ج2، ص 81 .

³ محمد مؤنس عوض: في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط1 ، دار العالم العربي، القاهرة - مصر، 2011، ص 305 .

⁴ ابن عبد الملك : السابق، ج4، ص22 .

⁵ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص 427 .

⁶ الزركلي: المرجع السابق، ج5 ، ص 318 .

⁷ ابن الأبار : المصدر السابق، ج2، ص 74 .

مع الصحابة والتابعين وتابعيهم ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف، وكتاب المقدمات في الفقه، شرح الأرجوزة المنسوبة إلى ابن سينا في الطب، كتاب الحيوان، جوامع كتب أرسطوطاليس في الطبيعيات والإلهيات، كتاب الضروري في المنطق، كتاب تهافت التهافت يرد في على كتاب التهافت للغزالي، كتاب منهاج الأدلة في علم الأصول، كتاب صغير سماه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال¹.

4 - مكانة ابن رشد في دولة الموحدين ونكبته

لقي ابن رشد منزلة خاصة عند أمراء الموحدين دون نسيان نكبته المشهورة على يد أبي يوسف يعقوب*، وقد كانت بداية إحتكاك ابن رشد الحفيد بالبلاط الموحيدي على عهد عبد المؤمن بن علي* حين انتقل إلى مراكش وهو ابن السابعة والعشرين من عمره، فاستعان به عبد المؤمن لإنشاء المدارس والمراكز العلمية².

¹ ينظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، د س، ص 532 - 533.

* أبي يوسف يعقوب الملقب بأمير المؤمنين المنصور، ابن السلطان عبد يوسف ابن السلطان عبد المؤمن بن علي، القيسي، الكومي، المغربي، المراكشي، الظاهري، أمه رومية اسمها سحر، بويغ له سنة خمس وثمانين وخمسائة بعد وفاة أبيه وله من العمر ثنتي وثلاثي سنة، كانت مجالسه عامرة بالعلماء والفضلاء، عرف بفصاحة لسانه ومناظرته، أمر بالصلاة ونهى عن المنكرات، ورفع راية الجهاد، توفي 595هـ. ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج 21، ص 311 - 319؛ ابن خلكان: المصدر السابق، ج 7، ص 3 - 15.

* عبد المؤمن بن علي الكومي، أمه حرة كومية أيضا، من قوم يقال لهم بنو مجبر، ولد بضبيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، ولد أواخر سنة 478هـ، وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة 558 هـ، دامت مدة حكمه لدولة =

² جميل صليبا: الفلسفة العربية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت. لبنان، 1989، ص 443.

استمرت المكانة المرموقة التي حظي بها ابن رشد في البلاط الموحيدي مع أبي يعقوب يوسف* وذلك بفضل ابن الطفيل الذي عمل على جمع العلماء من كافة الأقطار وكان من ذلك تنبيهه الخليفة الموحيدي إلى أبي الوليد ابن رشد¹، حيث أستدعي هذا الأخير في حضرة أمير مراكش سنة ثمانية وسبعين وخمسائة إلى مراكش ليكون طبيبه الخاص مكان ابن الطفيل²، وبموت أبي يعقوب ووصول خليفته أبي يوسف يعقوب المنصور تواصلت حظوته لدى الأمراء الموحيدين، حيث استغل هذا الأخير تواجده بقرطبة في إحدى غزواته ضدّ النصارى ليوجه دعوة إلى ابن رشد وكان ذلك سنة إحدى وتسعين وخمسائة³. والجدير بالذكر أن ابن رشد قد لقي معاملة خاصة من طرف المنصور والذي قربه له وأحسن إليه، لم تدم مكانة ابن رشد طويلا عند المنصور إذ سرعان ما نقم عليه وقام بنفيه إلى اليسانة* والتي يقطنها اليهود⁴، وذلك عطا على الأقوال الرائجة حول

= الموحيدين إحدى وعشرين سنة. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 139؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج15، ص 138 . 142 .

* أبي يعقوب يوسف بن أبي محمد عبد المؤمن بن علي، بويغ بعد وفاة أبيه سنة 558هـ، شهدت ولايته حركة علمية كبيرة ، وعرف بميله إلى الفلسفة والحكمة دون بقية العلوم ، كان عارفا بسياسة الرعيين توفي سنة 580هـ. ينظر: الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج21 ، ص 98 . 101 . ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج7 ، ص 130 . 131 .

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 171 .

² دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، تر: محمد عبد الهادي أبو ريذة، ط5 ، دار النهضة العربية ، بيروت . لبنان ، 1991 ، ص 384 .

³ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، 531 .

* اليسانة: هي مدينة يقطنها اليهود تبعد عن قرطبة أربعين ميلا . ينظر: محمد بن محمد الإدريسي: نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1409هـ، ج2، 571 - 572 .

⁴ ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه، ص 531 . 532 .

نسب ابن رشد والذي أرجعها البعض إلى اليهودي وبأنه لا يعرف له أصل في قبائل الأندلس¹ ، بعدما تمت الوشاية به لدى المنصور وإتهامه بأمر دينية وسياسية² .

وكانت نكبته سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة³ ، حيث أتبع المنصور ذلك بمنشور إلى الأمصار يخطر فيه الناس بترك علوم الأوائل ويأمرهم بإحراق كتب ابن رشد الفلسفية دون كتبه الطبية، وبعد مدة ليست بالقصير عدل المنصور عن موقفه على ابن رشد وقام باستدعائه مرة أخرى إلى مراکش أين قام بالإحسان إليه وأقبل المنصور على تعلم الفلسفة⁴ .

ويذكر ابن رشد بأن من أعظم مظاهر هذه المحنة والتي تركت أثرا عميقا في نفسه هو طرده وولده من أحد مساجد قرطبة ومنعه من تأدية الصلاة ، وهي صورة تعبر تشويه صورته لدى الناس وإتهامه بالمروق عن الدين⁵ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفقهاء لم يكونوا بتلك المنزلة التي كانوا عليها في العهد المرابطي وذلك نظرا لتوجه دولة الموحيين القائم على نبذ الفروع ويظهر ذلك جليا في

¹ ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج4، ص27.

² محمد بن محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تح : عبد المجيد خيالي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2003، ج1، ص 213.

³ ابن عبد الملك : المصدر نفسه، ج4، ص 26 .

⁴ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص 219 .

⁵ حمادي العبيدي : ابن رشد حياته وعلمه وفقهه، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 29 .

إحراق المنصور لكتب المذهب المالكي¹، فما هي الأسباب الحقيقية التي كانت وراء

إحراق مؤلفات ابن رشد؟

ثانيا : أسباب نكبة ابن رشد

تعددت الآراء واختلفت حول الأسباب الحقيقية لمحنة ابن رشد التي طالته، فاعتبر لفيف من الباحثين أنّ سبب نكبته يعود إلى العامل الديني، في حين رأى آخرون أنّ السبب الحقيقي لنكبة ابن رشد يحمل طابعا سياسيا بحت ، بينما يرجع فريق آخر من الباحثين أنها تعود لطبيعة العلاقة التي جمعت ابن رشد بالمنصور الموحيدي .

1- العامل الديني

1 - 1 - جانب عقدي

يعتبر المشروع الثقافي لابن رشد في نطاق العلوم الشرعية وعلم الكلام والعمل الفلسفي سببا مباشرا في نكبته²، وبرز ذلك في الجانب العقدي و موقفه النقدي اللاذع من بعض مفكري المسلمين والذي عبر عليه في كتاباته النقدية مناهج الأدلة ، وفصل المقال ، وتهافت التهافت³، وإذا أخذنا أحد مصنفاته كمثال نجده في فصل المقال قد توجه إلى نقد الفقهاء المالكية المتمسكين بالنصوص والمعتبرين غير ذلك بدعة في الدين ومحرمين بذلك الإشتغال بالفلسفة فحاول ابن رشد إثبات عدم وجود تعارض بين الشريعة والحكمة ،

¹ علي زيغور: العقل والتجربة في الفلسفة العربية، ط1، دار النهضة العربية، د م، 2012، ص138.

² حسين الشافعي: التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة - مصر، 1998، ص 124 .

³ علي أواميل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان، 1996، ص207.

في حين نجده قد خصص صفحات مطولة في مناهج الأدلة لنقد الأشاعرة¹، والمعتزلة في قضية التأويل والتي تنبأها الموحدون، وهو موقف فقهي لا يقل جرأة عن موقفه الذي عبّر عنه في كتابه بداية المجتهد².

وكان ابن رشد قد أعلن رفضه لمذهب الأشاعرة والمتكلمين ورجال الدين عامة الذين يرون أنّ مصائب المسلمين سببها الفلسفة، فراحوا يوجهون سهام النقد لكل مفكر حرّ متهمينه بالمروق والزندقة والإلحاد، وقد فسر محمود قاسم ذلك باحتكاك المسلمين مع الأوروبيين في الأندلس سيما إذا علمنا أنّ سمة القرون الوسطى في أوروبا قد اتسمت بسلطة رجال الدين والكهنوت الذين حاربوا كل فكر تنويري³.

ولم يكتف ابن رشد بتوجيه سهام النقد للمتكلمين والأشاعرة فحسب بل تعدى ذلك لتحميلهم مسؤولية تفريق وحدة المسلمين إلى شيع وأحزاب وفرق ومذاهب والتي خاضت صراعات مذهبية وصلت حدّ الإقتتال بعد أن كفرت بعضها البعض، وأرجع ابن رشد ذلك إلى التأويل الحاصل في الشريعة المعتمد من المعتزلة والأشاعرة والتصريح به للعامة، وعبر عن ذلك صراحة في قوله: " مزقوا الشرع وفرقوا كل تفريق"⁴، واعتبر ابن رشد أنّ الطريقة التي يعتمد عليها الأشاعرة في إثبات تأويلاتهم لم توافق الجمهور ولا الخاصة

¹ محمد مؤنس عوض: المرجع السابق، ص 306.

² حسين الشافعي: المرجع السابق، ص 126 .

³ محمود قاسم: ابن رشد الفيلسوف المفترى عليه، مطبعة مخيمر، القاهرة - مصر، د س ، ص 26 .

⁴ أبو الوليد محمد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، تح: محمد عمارة، ط2، دار المعارف، 62 . 63؛ أبو الوليد محمد ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تح: محمود قاسم، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964، ص 132 وما بعدها .

، وقد ذهب ابن رشد إلى أبعد من ذلك في نقده للأشاعرة واصفا إياهم " بالسفسطائية " في بناء معارفهم في الأصول¹.

ورغم ترجيح ابن رشد للعديد من أقوال الظاهرية واعتماده قولهم في الإجماع وعدم اعتداده بإجماع أهل المدينة كأصل من أصول المذهب المالكي بالإضافة إلى إنتقاده لأقوال المالكية إلا أنه دافع على العديد من آرائهم الفقهية وموضحا أسباب الخلاف بين الفقهاء في كتابه بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مخالفا في ذلك توجه المنصور وأبيه يوسف من قبله المبني على نبد الفروع والأقوال المتشعبة والإقبال على الأصول ، وصرح _ ابن رشد _ بأنه سيضع كتابا في الفروع على مذهب مالك²، وبذلك يكون ابن رشد قد أثبت بأن شخصيته الفقهية لا تقبل للمساومة حيث عبر عن آرائه دون خضوع للسلطة السياسية³.

1 - 2 - صراع شخصي

أمام كل الإنتقادات التي وجهها ابن رشد لطبقة الفقهاء على إختلاف مشاربهم فقد أوجد لنفسه العديد من الناقلين عليه والمعارضين له وتحول هذا الصراع من الجانب الفكري والديني إلى صراع شخصي مع ابن رشد عرف جميع أنواع المكائد والدسائس للإيقاع بابن رشد .

¹ ابن رشد: فصل المقال: ص 63 .

² عبد الباقي السيد عبد الهادي: دراسات أندلسية في الفكر والتاريخ والمذاهب، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، 2018، ص 348.

³ حسين الشافعي : المرجع السابق، ص 126.

ويذكر لنا صاحب المعجب أنّ جماعة من أهل قرطبة ممن يدعون الكفاءة في البيت والنسب قد سعوا به عند المنصور، حيث قاموا بجمع بعض ما كتبه ابن رشد نقلاً عن بعض قدماء الحكماء الذين سلموا بأنّ كوكب الزهرة أحد الآلهة¹، متهمينه في ذلك بالخروج عن سنن الشريعة وإيثاره لحكم الطبيعة وكان ذلك سنة تسعين وخمسائة²، وقد حرصوا كل الحرص على عرض النص في غير سياقه ومفصلاً عما يسبقه أو يلحقه، حتى يظهروا للمنصور أنّ هذا الفيلسوف الذي حظي بعطفه قد كفر بنعمته وأنه يقول بتعدد الآلهة³، وهذا مما يستحيل التسليم به في حق ابن رشد وهو القائل: " من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيماناً بالله "4.

ويحسب محمد عويضة أن سبب نكبة ابن رشد تعود إلى تهويلات ومزاعم بعض الفقهاء الغلاة الذين عبّروا عن إستحالة التوفيق بين الدين والفلسفة، والحقيقة أنّ هؤلاء الفقهاء قد اتخذوا من الفقه ستاراً لهم لضرب خصومهم في المجال الفكري، ورغبة منهم في تصدر المشهد العلمي عند المنصور متهمين ابن رشد بالكفر والزندقة⁵ رداً على إتهامه لهم بالجمود والعكوف على التقليد والرياء وحب الدنيا⁶.

¹ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 218؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص1060.

² ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج4، ص 26.

³ محمود قاسم: المرجع السابق، ص 20.

⁴ طيبية مريم: التعرض ومسالك دفعه في كتاب الطهارة من كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلة، وهران - الجزائر، 2014، ص 76.

⁵ كمال محمد عويضة: ابن رشد الأندلسي فيلسوف العرب والمسلمين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1993، ص 20 - 30.

⁶ حمادي العبيدي: ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية، ط1، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1991، ص 16.

وهو ما أكده جميل صليبا حين أرجع محنة ابن رشد إلى اشتداد التعصب على الفلاسفة وذلك بتدبير من الفقهاء الذين أصابهم الحسد جزاء المكانة التي حظي بها ابن رشد في البلاط الموحدية، بحيث استطاعوا توجيه العامة لصالحهم، ما ينفي تورط المنصور في هذا الموقف السلبي من الفلسفة خاصة إذا علمنا اشتغال بالحكمة وعلوم الأوائل¹، وهو الذي اجتمع له من العلماء من أقطار الأندلس والمغرب وخاصة من أهل النظر ما لم يجتمع لملك من ملوك المغرب من قبله²، لذاك يكمن القول أنه لم يكن للمنصور خيار سوى العمل على إرضائهم وهو الذي كان في فترة حرب مع ألفونسو التاسع³ وما شعر به المنصور من حمية دينية بعد إنتصاره في موقعة الأرك⁴.

2 - العامل السياسي

إن محنة ابن رشد لا يمكن أن تفهم فهما سديدا بمعزل عن السلطة السياسية والتي عملت على إرضاء السلطة الشعبية⁵، والتي هي إمتداد للصراع القائم بينه وبين طبقة الفقهاء الذين سعوا به عند المنصور، هذا الأخير كان مضطرا لإرضاء المعارضين لأصحاب التوجه الفلسفي وذلك لطبيعة ظروف تلك المرحلة التي شهدت صراعا مع

¹ طيبية مريم : المرجع السابق، ص76.

² عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 169 .

³ جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للنشر ، بيروت . لبنان ، 1989 ، ص 446 . 447.

⁴ أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، 1955، ص 355 .

⁵ محمد آيت حمو: العقل الحجاجي بين الغزالي وابن رشد دراسات ومراجعات نقدية لفسفتي الغزالي وابن رشد، ط1، جداول للنشر والتوزيع، دم، 2012، ص122 .

النصارى، وربما ما يفسر هذا الموقف السياسي للمنصور هو عدوله عن قتل ابن رشد مع الاكتفاء بنفيه فقط قبل أن يعفو عنه ويستدعيه مرة أخرى إلى بلاطه بمراكش¹.

وتذكر المصادر سببا سياسيا أقوى من ذلك والمتمثل في العلاقة الخاصة التي كانت تجمع ابن رشد بيحي أخي المنصور والي قرطبة²، وكان أبو يحي صديقا لابن رشد والذي توسط شخصيا لدى المنصور ليعينه واليا على قرطبة، ومن مظاهر هذه العلاقة القوية التي جمعت ابن رشد بأبي يحي الكتاب الذي ألفه ابن رشد الضروري في السياسة، وذلك بطلب من أبي يحي³.

وقد عبر ابن رشد في هذا كتابه الضروري عن آرائه السياسية منتقدا في ذلك الإستبداد بالحكم وهو ما يخدم طموح أبي يحي السياسي حيث عبر هذا الأخير إلى مراكش مع أخيه المنصور الذي أصابه المرض وكان يغمى عليه ، فكان كلما استيقظ سأل عن أبي يحي حول عودته إلى الأندلس من عدمها، وأضطر أبي يحي للعودة إلى الأندلس أمام إلحاح المنصور بعد أن تعمد التأخير توقعا من لوفاة المنصور ويؤكد تخوف المنصور من طموح أخيه يحي السياسي إقدامه على قتله⁴، وأمام هذا الطموح السياسي لأبي يحي فإنّ العلاقة التي جمعت بين رشد بات تشكل خطرا على حياة هذا

¹ جميل صليبا: المرجع السابق، ص 447 - 448.

² ابن عبد الملك: المصدر السابق، ج4، ص 27.

³ ابن رشد : الضروري في السياسة، ص 38.

⁴ محمد عابد الجابري: ابن رشد سيرة وفكر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1998 ، ص 64 -

الأخير وهو ما كانت له نتائج وخيمة عليه حيث هم المنصور بقتله، واكتفى بنفيه هو ومجموعة من الشخصيات العلمية التي لاقت تهمة الإشتغال بالفلسفة¹، وقد أشار ابن رشد إلى دعمه لأبي يحيى في كتابه الضروري في السياسة في قوله: "وأعانكم الله على ما أنتم بصدده وأبعد عنكم كل مثبط بمشيئته وفضله"²، وهو موقف من ابن رشد غاب عنه الفطنة والكياسة³.

كما أنّ النقد العنيف الذي وجهه ابن رشد إلى الأشاعرة عامة وإلى الغزالي خاصة يحمل وبعدين مختلفين الأول فكري وديني ، والثاني فقط سياسي⁴، ويظهر الجانب السياسي في توجيه نقد غير مباشر لصاحب الدعوة الموحدية المهدي بن تومرت والذي عمل على نشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب بدليل اتخاذه لقضية إحراق كتاب الإحياء مطية لطموحه السياسي⁵.

3 - علاقته بالمنصور

لم يهنيئ ابن رشد كثيرا بالمكانة التي حظي بها عند المنصور وترجع بعض التأويلات ذلك إلى طبعة العلاقة التي كانت تجمعهم به، ويبدو أنّ ابن رشد قد خانته التوفيق في الإلتزام بمظاهر التكلّف والإختصاص بعبارات المدح والتبجيل للأمرء

¹ الجابري: المرجع السابق، ص 66 .

² ابن رشد الحفيد: الضروري في السياسة، تر: أحمد شحلان ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . لبنان ، 1998 ، ص 208 .

³ محمود قاسم: المرجع السابق، ص 19 .

⁴ علي أومليل: المرجع السابق، ص 207.

⁵ نفسه، ص 208 .

المتمسكين بأسباب الكبرياء ومظاهر الإستعلاء دون السماح للآخرين بالتبسط في الحديث¹.

ويذكر القاضي أبو مروان أنه مما كان في صدر المنصور إتجاه ابن رشد أنه لما كان يخاطبه _ أي ابن رشد _ يستخدم عبارة " **تسمع أخي**"²، وهي عبارة تتم عن استخفاف وتجاهل بدر من ابن رشد لمكانة المنصور كصاحب أعلى سلطة في الغرب الإسلامي³.

ومما حَزَّ في نفس المنصور أيضا ضدَّ ابن رشد هو شرحه لكتاب الحيوان لأرسطوطاليس، حيث عرض فيه أنواع الحيوانات وأصنافها ومواطنها، فلما عرَّج في حديثه عن الزرافة قال: " **ورأيته عند ملك البربر** " متبَعاً في ذلك سير العلماء في الإخبار عن ملوك الأمم وأسماء الأقاليم، وغير ملتفت لما يستخدمه خدمة الملوك من إنتقاء للعبارات⁴، وقد كان ذلك من الأسباب التي جعلت المنصور ينقم عليه، ويقال أنه اعتذر عن ذلك وقال: " **إنما قلت ملك البربر وإنما تصحفت على القارئ فقال ملك البربر**"⁵، غير أنّ هذا الاعتذار لم يلقى قبولا لدى المنصور.

¹ مصطفى الشكعة: المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إسلامية ومباحث أدبية، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1987، ص 175.

² ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 532 .

³ حمادي العبيدي: ابن رشد وعلوم الشريعة، ص 16.

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 218 ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج12، ص1060.

⁵ ابن أبي أصيبعة : المصدر نفسه، نفس الصفحة .

وفي الأخير يمكن القول أن الجزم بسبب معين في نكبة ابن رشد دون النظر في بقية العوامل المرتبطة بالمناخ السياسي والفكري والثقافي والاجتماعي الذي ميز العالم الإسلامي بصفة عامة والغرب الإسلامي بصفة خاصة في فترة حكم الموحدين أمر لا يستقيم، حيث يقف الباحث الحصيف على أن السبب وراء إحراق كتب ابن رشد كان وليد عدة عوامل مجتمعة، بدأً بالسلطة السياسية التي كانت تحت تأثير الطبقة الدينية، ومكائد الحاقدين على ابن رشد ممن يعارضونه في توجهه الفكري، وممن يسعون لمكاسب وأطماع دنيوية، بالإضافة إلى ضغط العامة والتي هي الأخرى كانت تحت تنويم رجال الدين.

الطائفة

وبعد عرضنا لموضوع ظاهرة إحراق الكتب في الغرب الإسلامي في القرن

السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي خلصت الدراسة إلى ما يلي:

- ظاهرة إحراق الكتب هي ظاهرة إنسانية عرفها الإنسان عبر مختلف الأزمنة

والعصور ولم تقتصر على التراث الإسلامي، وهو ما ينفي محاولة بعض المؤرخين

المحدثين حصر هذه الظاهرة بالتراث العربي الإسلامي من خلال رمي العقل المسلم

والعربي بالتخلف.

- يعتبر العصر الوسيط عصر نفوذ لطبقة رجال الدين بامتياز ويظهر ذلك جليا

في تصدر طبقة الفقهاء للمشهد السياسي والفكري العام في العالم الإسلامي وتوج هذا

النفوذ بالفتوى التي أطلقها الفقهاء ضدّ كتاب الإحياء وكتب ابن رشد.

- من بين أبرز الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة هو التحامل الكبير من

طرف بعض المؤرخين القدماء والمحدثين على دولة المرابطين عبر اتهامها بالجمود

الفكري وتحكم طبقة الفقهاء في مقاليد الحكم وتصدرهم للمشهد الفكري ناسين أو

متناسين الحركة العلمية الكبيرة التي شهدتها بلاد المغرب والأندلس على عهدهم، وأن

تصدر المشهد السياسي والفكري لطبقة الفقهاء لم يكن بدعة على المرابطين وإنما هي

ظاهرة شهدتها كل الدول الإسلامية وحسبنا دليلا في ذلك أن دولة الموحدين التي قامت

بعدها قامت على أساس دعوة ابن تومرت الدينية.

- من بين المفارقات التي يسجلها الباحث في قضية إحراق المرابطين لكتاب إحياء علوم الدين وكتب ابن رشد الفلسفية هو التهويل الكبير في قضية إحراق الإحياء والتي أخذت الحيز الأكبر من الجدل واتهام دولة المرابطين بمحاربة الأفكار التتويرية، في حين أنّ قضية إحراق كتب ابن رشد والتي هي أكثر قيمة علمية من كتاب الإحياء كان في حيز المسكوت عنه.

- أُستغلت عملية إحراق كتب الغزالي وابن رشد سياسياً، فقضية إحراق الإحياء إستغلها ابن تومرت أحسن استغلال لصالح دعوته الدينية جاعلاً منها قميص عثمان، في حين استغل المنصور الموحي إحراق كتب ابن رشد لإرضاء طبقة الفقهاء والعامّة في معاركه ضدّ النصارى.

- تعتبر عملية إحراق كتب ابن رشد الحفيد بداية النهاية للفكر الفلسفي الإسلامي، في المقابل كانت شروحات ابن رشد وآراؤه الفلسفية لبنة أساسية لتحقيق النهضة الأوروبية.

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما .
من أمير المسلمين وناصر الدين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين .
إلى وليه في الله تعالى، الأعز الأكرم الأحظى في ذات الله لديه أبي زكريا يحيى
بن علي، والفقيه القاضي أبي محمد بن جحاف، وسائر الفقهاء والوزراء،
والأخبار والصلحاء، والكافة ببلسية، حرسها الله، وأدام كرامتهم بتقواه.
سلام مبرور كريم مررد عميم على جميعكم، ورحمت الله وبركاته وبعد:
...واعلموا رحمكم الله، أن مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبداء،
على ما أتفق عليه السلف الصالح، رحمه الله، من الإقتصار على مذهب إمام دار
الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس، رضي الله عنه، فلا عدول لقاض ولا مفت عن
مذهبه، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم إلا به، ومن حاد عن رأيه بفتواه، ومال من
الأئمة إلى سواه، فقد ركب رأسه واتبع هواه، ومتمى عشرتم على كتاب بدعة أو
صاحب بدعة، وخاصة، وفقكم الله، كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع اثرها، وليقطع
بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الإيمان على من يتهم بكتمانها"¹

¹ الوثيقة رقم 1. ينظر حسين مؤنس: نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، ط1،
مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000، ص20-17.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية

أولا : المصادر

- 1- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (ت 668هـ/1289م)، **عيون الإنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، دون سنة.
- 2- ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، تونس ، 1966م.
- 3- ابن أبي زرع الفاسي : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط - المغرب، 1972 م.
- 4- ابن الأبار، بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1259م) : **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت - لبنان ، 1995م.
- 5- ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الكريم: **الكامل في التاريخ** ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، 1997 م .
- 6- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرمان بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م):

- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1992 م .
- الثبات عند الممات ، تحقيق : عبد الله الليثي الأنصاري ، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، 1985.
- تلبيس إبليس، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، 2001،
- 7- ابن العماد الحنبلي(ت1089هـ/1678م) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط ، الطبعة الأولى ، دار ابن كثير، دمشق . سوريا ، 1986 م .
- 8- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1184) : الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، 2001م.
- 9- ابن القطان المراكشي، أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك(منتصف ق7هـ/ق13م) : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق : محمود علي مكي ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، 1990م.
- 10- ابن الوردي، زين الدين المعري الكندي(ت749هـ): تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1996م.

- 11- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد القرطبي الظاهري(ت456هـ): طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت . لبنان ، 1989 م.
- 12- ابن حماد الصنهاجي، محمد بن علي (ت628هـ/1230م): أخبار بني عبید وسيرتهم، تحقيق: التهامي نقرة، عبد الحلیم عویس، دار الصحوة، القاهرة - مصر، دون سنة.
- 13- ابن خلدون، عبد الرحمان (ت808هـ/1405م) :
- المقدمة ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، القاهرة . مصر ، 2010م.
- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، 2000م.
- 14- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(681هـ) : وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت ، 1977 م .
- 15- ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (ت595هـ/1198م):
- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من إتصال ، تحقيق :محمد عمارة ، الطبعة الثانية ، دار المعارف .

- **مناهج الأدلة في عقائد الملة** ، تحقيق : محمود قاسم ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1964 م .
- 16- ابن طباطبا، محمد بن علي (ت709هـ/1309م): **الفخري في الآداب السلطانية**، تحقيق: عبد القادر مايو، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت - لبنان، 1997م.
- 17- ابن عبد الملك، محمد بن محمد (ت703هـ/1303م) : **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ، تحقيق : إحسان عباس ، بشار عواد معروف ، محمد بن شريفة ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2012 م .
- 18- ابن عذارى، أبي العباس أحمد بن محمد (نحو 695هـ/1295م) : **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب** ، تحقيق : بشار عواد معروف ، محمود عواد معروف ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 2013 م .
- 19- ابن فرحون، ابراهيم بن نور الدين: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** ، تحقيق (ت 799هـ/1396م) : مأمون بن محي الدين الجنان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، 1996 م .
- 20- ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م) :
- **طبقات الشافعيين** ، تحقيق : أحمد عمر هاشم ، محمد زينهم ، محمد عزب ، الطبعة الأولى، دار الوفاء ، المنصورة - مصر، 2004 م .

- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد الله التركي، الطبعة الأولى، دار هجر، مصر، 1998م.

21- ابن مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تحقيق: عبد المجيد خيالي ، الطبعة الأولى ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 2003 م .

22- أبو العباس ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد(ت728هـ/1327م): درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: رشاد سالم، الطبعة الثانية، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية ، 1991م.

23- أبو العباس تقي الدين، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ/1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، 1997م.

24- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالب(ت560هـ/1164م): نزهة المشتاق في إخرق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1988م.

25- التادلي، أبي يعقوب يوسف بن يحي: التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق : أحمد التوفيق، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء - المغرب، 1997م.

- 26- الحجوي الثعالبي، محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الجعفري (ت1376هـ/1956م): **الفكر السامي في الفقه الإسلامي**، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1995م.
- 27-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1347م):
- **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و علي أبو زيد ، الطبعة الحادية عشرة ، مؤسسة الرسالة ، 1996 م .
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام** ، تحقيق : بشار عواد معروف، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ، 2003م.
- **العبر في خبر من غير** ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العلمية . بيروت لبنان ، 1985 م .
- 28- الزركشي، محمد ابن إبراهيم: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ، تحقيق : محمد ماضي ، الطبعة الثانية ، المكتبة العتيقية ، تونس ، دون سنة .
- 29- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت654هـ/1256م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: مجموعة محققين، الطبعة الأولى، دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، 2013م.

- 30- السُّبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1359م) : **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق : محمود محمد الطنجي ، عبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية ، دون مكان ، دون سنة .
- 31- الشنتريني، أبو الحسن بن بسام (ت542هـ/1147م) : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق : إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت . لبنان ، 1989 م .
- 32- صاعد الأندلسي: **طبقات الأمم**، تحقيق: العيد بوعلون، دون مكان، 1983م.
- 33- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله (ت764هـ/1362م) ، **الوافي بالوفيات** ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، 2000 م.
- 34- الضبي أبو جعفر، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م): **بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1989
- 35- الطبري أبو جعفر ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (ت310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة - مصر، 1967 م .
- 36- الغزالي، أبو حامد (ت505هـ/1111م): **إحياء علوم الدين**، الطبعة الأولى، دار المناهج، جدة - المملكة العربية السعودية، 2011م.

- 37- المراكشي عبد الواحد(ت646هـ/1248م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 2005م.
- 38- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت776هـ/1374م) :
- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق : محمد عبد الله عنان ، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي ، القاهرة - مصر ، 1975 م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت - لبنان، 1988 م .
- 39- المقرئ أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي تقي الدين(ت845هـ/1441م): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان، 1997م.
- 40- المنجم، إسحاق بن الحسين: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت - لبنان، 1987م.
- 41- مؤلف مجهول(ت ق8هـ/ق14م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمانة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء - المغرب، 1979م.

- 42- الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت1315هـ/1897م) : الاستقصا
لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق : جعفر الناصري ، محمود الناصري ، الجزء
الثاني ، الدار البيضاء . المغرب .
- 43- النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن (ت نحو
792هـ/1389م): تاريخ قضاة الأندلس ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار
الآفاق الجديدة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت . لبنان ، 1983 م.
- 44- النووي، محي الدين زكريا يحيى بن شرف : طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق
: علي عمر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر ، 2009 م.
- 45- اليافعي، أبو محمد عفيف الدين عبد الله(ت768هـ/1366م): مرآة الجنان
وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الطبعة الأولى، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، 1997م.
- 46- ياقوت الحموي الرومي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت
626هـ/1228م) : معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب
الإسلامي ، بيروت لبنان، 1993 م.

ثانيا : المراجع

أ - الكتب باللغة العربية

1. إبراهيم السامرائي، خليل وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت - لبنان، 2000 م.
2. إبراهيم حسن، حسن: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، الطبعة الرابعة عشرة ، دار الجيل ، بيروت - لبنان، 1996 م.
3. أبو زهرة، محمد: ابن حزم حياته و عصره - آراؤه وفقهه ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر، 1997 م.
4. أومليل، علي: السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت - لبنان ، 1996 م .
5. آيت حمو، محمد: العقل الحجاجي بين الغزالي وابن رشد دراسات ومراجعات نقدية لفلسفتي الغزالي وابن رشد، الطبعة الأولى، جداول للنشر والتوزيع، دون مكان، 2012م.
6. بيطار، أمينة: تاريخ العصر العباسي ، الطبعة الرابعة ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا، 1997م.
7. حسن راضي العامري، محمد بشير: تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 2014م.

8. خان الحسيني، محمد صديق: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، الطبعة الأولى ، وزارة الشؤون والأوقاف، قطر، 2007 م.
9. الخضري بك، محمد: الدولة العباسية، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار، القاهرة - مصر، 2003م.
10. دمشقية، عبد الرحمان : أبو حامد الغزالي والتصوف ، الطبعة الأولى ، دار طيبة ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، 1986
11. الدوري، عبد العزيز: العصر العباسي الأول دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت . لبنان ، 1945 م .
12. الزركلي، خير الدين : الأعلام ، الطبعة الخامسة عشر، بيروت . لبنان ، 2006 م.
13. زيغور، علي: العقل والتجربة في الفلسفة العربية، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، دون مكان، 2012م.
14. السعيد، خالد: تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات، الطبعة الأولى، دار أثر، الدمام - المملكة العربية السعودية، 2018 م.
15. سليمان الهرفي، سلامة محمد: دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين _ دراسة سياسية وحضارية _ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت - لبنان، 1985م.

16. سليمان، فاضل: أقباط مسلمون قبل محمد، شركة النور للإنتاج الإعلامي، الجيزة - مصر، 2010م.
17. سهيل طقوش، محمد: تاريخ الدولة العباسية، الطبعة السابعة، دار النفائس، بيروت - لبنان، 2009م.
18. السيد عبد الهادي، عبد الباقي: - دراسات أندلسية في الفكر والتاريخ والمذاهب، الطبعة الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، 2018م.
- الأريوسية في مصر البيزنطية خلال القرنين الرابع والخامس ميلاديين ، الطبعة الأولى ، دار الآفاق العربية ، القاهرة - مصر ، 2016م.
19. الشافعي، حسين : التيار المشائي في الفلسفة الإسلامية ، دار الثقافة العربية، القاهرة - مصر، 1998م.
20. الشكعة، مصطفى: المغرب والأندلس آفاق إسلامية وحضارة إسلامية ومباحث أدبية ، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1987م.
21. الشيخ، حسن: دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، اليونان، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية - مصر، 1992م.
22. الصلابي، علي محمد محمد: - الدولة الفاطمية، مؤسسة إقرأ ، الطبعة الأولى، القاهرة - مصر، 2006 م.

- دولة السلاجقة وبيروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، الطبعة الأولى، مؤسسة إقرأ، القاهرة - مصر، 2006م.
23. صليبا، جميل: تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للنشر، بيروت - لبنان، 1989م.
24. طرابيشي، جورج : معجم الفلاسفة، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت - لبنان، 2006 م.
25. العبادي، أحمد مختار: في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، دون سنة.
26. عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977م.
27. عبد اللطيف دندش، عصمت: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان، 1988 م.
28. عبد الوهاب، أحمد: طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، الطبعة الأولى، دار التضامن، دون مكان، 1980م.
29. العبيدي، حمادي:
- ابن رشد وعلوم الشريعة الإسلامية ، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت - لبنان، 1991م.

- ابن رشد حياته وعلمه وفقهه ، الدار العربية للكتاب، دون مكان، 1984 م .
30. العقاد، عباس محمود : ابن رشد، الطبعة السادسة ، دار المعارف، القاهرة
– مصر، دون سنة.
31. عكاشة، علي وآخرون : اليونان والرومان ، الطبعة الأولى ، دار الأمل ،
الأردن ، 1991 م .
32. عنان، محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين وبداية
الدولة الموحدية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، 1990م.
33. قاسم، محمود: ابن رشد الفيلسوف المفترى عليه، مطبعة مخيمر، القاهرة
– مصر، دون سنة.
34. كبير علال، خالد:
- التضليل والتحريف في كتاب أبي حامد الإحياء، الطبعة الأولى، دار المحتسب،
الجزائر، 2004م.
- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي خلال العصر الإسلامي _ مظاهره ، آثاره
، أسبابه ، علاجه _ ، دار المحتسب، الجزائر، 2008م.
35. مبارك، زكي: الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة
– مصر، 2012م.

36. محمد عويضة، كمال: ابن رشد الأندلسي فيلسوف العرب والمسلمين ،
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1993م.
37. المغراوي، محمد بن عبد الرحمان: العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية
و قدرتها على مواجهة التحديات، الطبعة الأولى، دار المنار، الرياض - المملكة
العربية السعودية، 1414هـ .
38. مؤنس عوض، محمد: في رحاب الحضارة الإسلامية في العصور
الوسطى، الطبعة الأولى، دار العالم العربي، القاهرة - مصر، 2011 م.
39. مؤنس، حسين:
- موسوعة تاريخ الأندلس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر،
1996 م.
- نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين ، الطبعة الأولى
، مكتبة الثقافة الدينية، مصر ، 2000م.
40. ميشال أبرص، أنطوان عرب: المجمع المسكوني الأول نيقيا الأول 325
، الطبعة الأولى، المكتبة البوليسية ، بيروت - لبنان، 1997م.
41. الميقاري، إبراهيم يعقوب: تاريخ الكنيسة القبطية، الطبعة الأولى، القاهرة -
مصر ، 2016 م.

42. النجار، عبد المجيد: تجربة الإصلاح في حركة المهدي ابن تومرت، الطبعة الثانية، المعهد العالمي للفكر، فرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، 1995م.

43. نصار، عصمت ، الفكر الديني عند اليونان، الطبعة الثانية، دار الهداية، مصر، 2005 م.

44. هويدي، يحي: تاريخ الفلسفة الإسلامية في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة - مصر، 1965 م.

ب - الكتب المعرّبة

45. جنثال بالنتيا، أنخل: تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دون سنة.

46. دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، الطبعة الخامسة ، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، 1991 م.

47. رينان، إرنست: ابن رشد والرشدية، ترجمة: عادل زعيتر، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربية، القاهرة - مصر، 1957م.

48. كوبرمان، هنري: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة، حسن قبسي، الطبعة الثانية، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1998 م.

ج - المذكرات والرسائل الجامعية

49. سعد عبد الله، صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة الأموية في الأندلس (316-422هـ/898-1030م)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1981/1982م.

50. عبد الكريم، هلتاني: الزندقة في العصر العباسي الأول ، مذكرة ماستر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2016/2017م.

51. مريم، طيبيبة: التعارض ومسالك دفعه في كتاب الطهارة من كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية ، جامعة أحمد بن بلة ، وهران - الجزائر، 2014/2015.

د - المقالات :

52. أسامة عبد الحميد، حسين السامرائي: "دور الفقهاء في السياسية المرابطية وإحراق إحياء علوم الدين"، مجلة سُرّ من رأى، المجلد الأول ، السنة الأولى ، العدد الأول ، 2005 .

53. الطالب، عمار : "مصادر ابن رشد الفقهية" ، مجلة كلية أصول الدين الصراط ، السنة الأولى ، العدد الثاني ، ذو الحجة 1420 هـ / مارس 2000م.

54. عبد الحميد، رأفت: "إغتيال آريوس"، مجلة كلية الآداب، جامعة

المنصورة، مصر، العدد التاسع عشر، أغسطس 1996 م .

55. ناوات، محمد أمين: "مجمع نيقية الكنسي"، مجلة جامعة كركوك للدراسات

الإنسانية، المجلد الخامس، العدد الأول، السنة الخامسة، 2010م.

هـ - الندوات :

56. الصغير، عبد المجيد : أبو حامد الغزالي دراسة في فكره وعصره وتأثيره ،

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط - المغرب، جامعة محمد الخامس، سلسلة

ندوات ومناظرات رقم 9 ، 1988م.

الأفكار

فهرس الأعلام والأماكن

- ابن الطفيل ص17، 55.
- ابن باجة ص17.
- ابن بشكوال ص52.
- ابن حزم ص18، 19، 20.
- ابن حمدين ص29، 30.
- ابن سينا ص54.
- ابن عيسى ابن الملجوم ص53.
- أبو الحسن بن حرزهم ص31.
- أبو الحسن سهل بن مالك ص53.
- أبو الحسن عامر بن نذير ص53.
- أبو الفضل عياض ص52.
- أبو الفضل يوسف بن محمد "النحوي" ص31.
- أبو المعالي الجويني ص24.
- أبو الوليد ابن رشد "الجد" ص40، 42.
- أبو الوليد ابن رشد "الحفيد" ص50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57.
- 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64.
- أبو بكر بن جهور ص53.
- أبو بكر سمحون ص52.
- أبو تمام ص52.
- أبو جعفر أحمد بن محمد "ابن النبي" ص28.
- أبو جعفر المنصور ص12.
- أبو جعفر بن عبد العزيز ص52.
- أبو حامد الغزالي ص22، 23، 24، 25، 26، 29، 30، 32، 33، 34.
- 35، 36، 37، 38، 39، 40، 42.
- 43، 44، 45، 46، 54.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري ص38، 39.

الحلاج ص14،	أبو محمد بن حوط الله ص53.
الخليفة الأموي الحكم ص 18.	أبو محمد عبد الكبير ص53.
عبد الرحمان الثالث ص16.	أبو مروان بن حزبول ص52.
عبد الرحيم بن ابراهيم ابن الفرس ص53.	أبي القاسم ابن رشد ص52.
عبد المؤمن بن علي ص54.	أبي مروان ابن مسرة ص52.
علي بن عبد الله الجذامي ص31.	أبي يعقوب يوسف ص55، 59.
علي بن يوسف بن تاشفين ص22،	أبي يوسف يعقوب المنصور ص54،
26، 28، 29، 30، 31، 33، 35.	55، 56، 57، 59، 60، 61، 62،
القاسم ابن الطيلسان ص53.	63، 64.
القاضي عياض ص34.	أحمد الراذكاني ص24.
قسطنطين ص10	أحمد الغزالي ص23، 24.
الكيهراسي ص42، 43، 44.	أرسطو ص50، 53، 54، 64، 65.
لوقيانوس ص9.	أريوس ص9، 10، 11.
المأمون العباسي ص14.	بروتاغوراس ص8.
المتنبي ص52.	بطرس الناسك ص33.
	تاشفين بن علي بن يوسف ص30،
	31، 36.

محمد ابن تومرت ص41، 42، 43،

44، 45، 46،

محمد بن الوليد الطرطوشي ص39.

محمد بن محمد بن عبد الرحمان ابن

الحاج ص53.

المستظهر العباسي ص27.

المصور بن أبي عامر ص16، 17.

المظفر ابن المتصور بن أبي عامر

ص20.

المقتدر العباسي ص14.

المهدي العباسي ص12، 13، 14.

المؤيد بالله ص20.

نظام الملك ص25.

الهادي العباسي ص14.

يحي أخو المنصور الموحي ص63.

يوسف بن تاشفين ص22، 38.

العراق ص 25.	الأرك ص 61.
الغرب الإسلامي ص 22، 64، 65.	الإسكندرية ص 26، 44، 45،
الغرب المسيحي ص 22.	اشبيلية ص 18، 20.
غزاة ص 23.	الأندلس ص 15، 16، 17، 20، 28،
القدس ص 25.	44، 46، 50،، 56، 51، 58، 61
قرطبة ص 19، 29، 50، 55، 62.	أنطاكية ص 9.
القيروان ص 45.	باب تاغزوت ص 51.
لبلة ص 20.	بغداد ص 44.
ليبيا ص 10.	بلاد السوس ص 43.
مراكش ص 51، 54، 55، 56، 62.	بلنسية ص 20، 30، 36.
المرية ص 31.	جرجان 23.
مصر ص 10، 26، 45.	خوارزم ص 23.
المغرب الأقصى ص 43.	دمشق ص 25.
المغرب ص 38، 30، 42، 31، 26،	الشام ص 25.
61، 46، 64. المهديّة ص 44.	الطابران ص 23.
نيسابور ص، 44، 26. نيقية ص 1.	طوس ص 23، 24، 44.

الأرثوذكس ص9.

الآريوسية ص10.

الأشاعرة ص34، 40، 52، 58، 59، 63.

الزنادقة ص11، 12، 13، 14.

السوفسطائيين ص8، 9، 59.

الشافعية ص34.

الصوفية ص34، 35، 40، 41، 46، 47.

الظاهرية ص59.

المالكية ص28، 33، 34، 41، 49، 57، 59، 52.

المعتزلة ص40، 58.

النصارى ص46، 55، 62.

فهرس المحتويات

الفصل التمهيدي: ظاهرة إحراق الكتب عبر التاريخ

- أولاً: إحراق الكتب عند غير المسلمين.....8 - 11
- 1 - إحراق الكتب في التراث اليوناني.....8 - 9
- 2 - إحراق الكتب في التراث المسيحي.....9 - 11
- ثانياً: إحراق الكتب في التراث الإسلامي قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر
الميلادي.....12 - 20
- 1 - إحراق كتب الزنادقة في المشرق الإسلامي.....11 - 15
- 2 - إحراق الكتب في الأندلس.....15 - 20

الفصل الأول: إحراق كتب أبي حامد الغزالي

- أولاً: ترجمة لأبي حامد الغزالي.....23 - 27
- 1 - مولده ونشأته.....23 - 24
- 2 - حياته الفكرية.....24 - 26
- 3 - آثاره العلمية.....26 - 27
- ثانياً: حادثة إحراق كتاب الإحياء وأسبابها الحقيقية.....28 - 41
- 1 - الإطار التاريخي لإحراق الإحياء.....28 - 32
- 2 - الأسباب الحقيقية لإحراق كتاب الإحياء.....32 - 47

- أ - تساهل الغزالي مع علم الحديث وموقفه من الحروب الصليبية.....32 - 33
- ب - التعصب المذهبي.....33 - 34
- ج - موقف دولة المرابطين علم الكلام والتصوف.....34 - 38
- د - بعض المواقف التي سجلت على الغزالي وكتابه الإحياء.....38 - 41
- ثالثا: إحراق كتاب الإحياء وتداعياته على دولة المرابطين.....41 - 47

الفصل الثاني: إحراق كتب ابن رشد

- أولا: ترجمة لابن رشد.....50 - 54
- 1 - مولده ونشأته.....50 - 51
- 2 - حياته الفكرية.....51 - 53
- 3 - إنتاجه الفكري.....53 - 54
- 4 - مكانته في دولة الموحدين ونكبته.....54 - 57
- ثانيا: أسباب نكبة ابن رشد.....57 - 65
- 1 - العامل الديني.....57 - 61
- 2 - العامل السياسي.....61 - 63
- 3 - علاقته بالمنصور.....63 - 65
- الخاتمة.....67 - 68
- الملاحق.....70

فهرس المحتويات

76.....	قائمة المصادر والمراجع.....
94 - 91.....	فهرس الأعلام والأماكن.....
95.....	فهرس المذاهب والفرق.....
97.....	فهرس المحتوى.....

تم بحمد الله